جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الأولى

المادة: البلاغة

محاضراة مادة:

التقديم والتأخير

النص الأدبي يتضمّن مجموعة من الموضوعات والأفكار. وكلّ واحد من هذه الموضوعات أو الأفكار يتكوّن من (أقسام) أو (أجزاء) تنتظم وفق نسق خاص بحيث (يتقدّم) جزء على آخر، أو (يتأخّر) جزء عن جزء آخر، تبعاً لمتطلبات السّياق.

وتقديم الشّيء على غيره أو تأخيره عن غيره، يتمّ إمّا في نطاق (العبارة الواحدة) أو نطاق (الجملة) أو نطاق (المقطع) الذي يتألف من عدة جمل تشكّل بمجموعها جزءاً من الموضوع العام لِلنّص الأدبي، على نحو ما سنوضّحه لاحقاً.

ويمكننا أنْ نلاحظ التّقديم والتأخير من حيث (مسوّغاته) من جانبٍ، ومن حيث مستوياتِه التي تتمّ في نطاق (العبارة والجملة والمقطع) من جانب آخر. ونبدأ أوّلاً بالحديث عن:

مسوّغات التقديم والتأخير:

لنقف أوّلاً عند السورة الكريمة التّالية، وهي (سورة المطفّفين):

(ويلٌ للمطفّفينَ الذينَ إذا اكْتالُوا عَلَى النّاس يَستَوْفُونَ وإذا كالوهم أو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ألا يَظُنُّ أولئِكَ أنهم مَبْعُوثُونَ).

هذه الآيات الأربع: تشكل القسم الأوّل من السورة، (وموضوعها) هو: (التلاعب بالميزان). وأما (الفكرة) التي يقوم عليها هذا الموضوع: فهي (انبعاث النّاس في اليوم الآخر: ومحاسبتهم).

وأما الموضوع الثّاني في السورة فهو (التكذيب باليوم الآخر): (ويلٌ يومئذٍ للمكذّبينَ الذينَ يُكَذّبونَ بِيوم الدّين... إلخ).

وهذا الموضوع يرتبط بنفس (الفكرة) التي ارتبط بها الموضوع الأوّل حيث يختم موضوع (التكذيب) بنفس فكرة (المحاسبة في اليوم الآخر) (ثم يقال: هذا الذي كنتم به تكذّبون)...

إذَنْ: تتضمّن السّورة (موضوعات) متنوّعة، ولكنّها تصب في (فكرة واحدة)... وهذه الموضوعات المتنوّعة: بعضها يتّصل بـ(التطفيف في الميزان) وبعضها يتّصل بـ(التكذيب بيوم الّدين). وكل من هذين الموضوعين قد انتظم في (مقطع خاص)... ولكن الملاحظ، أنّ النّص (قدّم) المقطع الخاص بالمطفّفين، و(أخّر) المقطع الخاص بالمكذّبين، فبدأت السورة أوّلاً بالمطفّفين حيث قالت (ويلٌ للمطفّفين... إلخ)... والسّؤال هو:

إنّ (التكذيب باليوم الآخر) هو أشدّ معصية مِنْ (التطفيف) في الميزان، فلماذا (أخّر) النص قضية التكذيب و(قدّم) التطفيف: مع أنّ التكذيب هو أشد معصية من التطفيف؟

هنا تبرز الأهمية البلاغية (التقديم والتأخير)... حيث أنّ النّص يستهدف لفت النّظر إلى خطورة المعصية المترتبة على التطفيف... لذلك (قدّمها) على جميع الموضوعات حتى يلفت نظر القارئ إلى مدى المفارقة التي ينطوي عليها التلاعب بالميزان...

طبيعيّاً، إنّ القرآن الكريم يطرح موضوعات وأفكاراً متنوّعة تتكرّر في أكثر من سورة مثل قضيّة التطفيف التي كرّرها القرآن في سور كثيرة (ومنها قصص شعيب ومجتمعه الذي عرف بتطفيف الميزان)، ولكنّه (في سورة المطفّفين) أراد التركيز على هذه القضيّة، فأبرزها في بداية السورة: بينما جاء الحديث عن التطفيف في السّور الأخرى عرضيّاً وثانويّاً: كما هو ملاحظ.

إذَنْ: المسوّغ الفنّي لتقديم الشيء وتأخيره هو: التركيز على فكرة أو موضوع معيّن، «فيقدّم» على غيره: حتى يتحسّس القارئ أهميّة الفكرة أو الموضوع الذي تنطوي عليه السّورة الكريمة...

والمهم - بعد ذلك - أنّ تقديم الشيء وتأخيره يتمّ - كما قلنا - إمّا من خلال (المقطع) أو (الجملة) أو (العبارة)... وهذا ما نتحدّث عنه ضمن عنوان:

مستويات التقديم والتأخير:

قلنا أنّ تقديم الشيء وتأخيره يتمّ، إمّا: من خلال (المقطع) أو (الجملة) أو (العبارة).

١- من حيث المقطع:

موضوع (التطفيف) الذي لحظناه في سورة (المطفّفين): يجسّد نموذجاً لتقديم (المقطع) الخاصّ على مقطع غيره، حيث لحظنا أنّ المقطع الخاصّ بالتطفيف (وهو الآيات الأربع: ويلٌ للمطفّفين ـ الذينَ... إلخ) قد قدّم على المقطع الخاص بالتكذيب (ويلُ يومئذٍ للمكذّبينَ – الذينّ... إلخ).

٢- من حيث الجملة:

نجد أنّ جملة (ويلٌ للمطفّفين) ـ وهي تركيب مجمل ـ قد تقدّمت على جملة (الذينَ إذا اكتالوا...) ـ وهي تركيب مفصَّل،... كما تقدّمت الجملة الأخيرة على الجملة الثالثة (وإذا كالوهم...)، وتقدّمت هذه على الجملة الرّابعة (ألا يظن أولئك...)... واضحُ أنّ (تقديم) الجملة التي تضمّنت مصطلح (المطفّفين) على تفصيلاتِها التي تأخّرت عنها، يكشف عن أنّ النّص يستهدف التّعريف بهذه القضيّة فيما يتطلّب ذلك: (تقديم) المعرَّف ثم تفصيلاته..

٣- من حيث المفردة أو العبارة:

لحظنا، أنّ كلمة (ويلٌ) (تقدّمت) على سائر المفردات التي وردت في قضيّة التطفيف... وهذا يكشف عن أنّ النّص يستهدف من وراء «تقديمه» لهذه الكلمة (ويلٌ): تحسيس القارئ بخطورة العقاب الذي يترتّب على المطفّفين، حيث إنّ كلمة (ويلٌ) تُشير إلى الهول الذي سيواجهه المطفّف في اليوم الآخر...

- التقديم والتّأخير وصلتهما بفكرة النّص:

النماذج المشار إليها، تُفصح عن أهميّة التقديم والتأخير من حيث صلته بالمقطع أو الجملة أو المفردة أي: بجزء من أجزاء النّص.

وهناك من النماذج ما يفصح عن عملية التقديم والتأخير من حيث صلته بمجموع النّص لا بجزء منه... وهذا ما يمكن ملاحظته في نفس السورة الكريمة (سورة المطفّفين)، حيث أشرنا إلى أنّ هذه السّورة تتضمّن أكثر من موضوع مثل (التّطفيف) و(التكذيب)، وقلنا: أنّ هذه الموضوعات المتنوّعة تخضع لـ(فكرة واحدة) هي: (انبعاث النّاس في اليوم الآخر ومحاسبتهم)... لذلك حينما تتصدّر كلمة (ويلٌ) سورة المطفّفين: فحينئذٍ يكشف هذا (التّقديم) عن أنّه مرتبط بفكرة السّورة العامّة التي يستهدفها النّص أساساً، حيث أنّ كل سورة لا بدّ أن تتضمّن (هدفاً) أو (فكرة) عامة تحوم عليها موضوعات السورة. وحينما تستهل السّورة بعبارة معيّنة مثل عبارة (ويلٌ)، فهذا يعني أنّ «تقديم» هذه العبارة مرتبط بأهميّة (الفكرة) العامّة التي تستهدفها السورة (وهي: العذاب الأُخروي) وليس الفكرة الجزئيّة فحسب (وهي: التطفيف)...

وفي ضوء هذه الحقيقة، يُمكننا أنْ نلحظ أنّ مستويات (التقديم والتأخير) تتمّ حيناً من خلال (الفكرة الجزئيّة) التي تتضمّنها المفردة والجملة والمقطع، وتتمّ حيناً آخر من خلال (الفكرة العامّة): بالنحو الذي لحظناه.

الخلاصة:

((التقديم)) هو نوع من الصّياغة اللّفظيّة التي تتصدر الكلام، سواء أكان ذلك في أوّل النّص أو وسطه أو آخره، وسواء أكان ذلك في نطاق الكلمة أو الجملة أو المقطع أو الفكرة التي ينطوي عليها النّص بأكمله، وهذا (التقديم) يستند إلى قاعدة فكريّة هي: أنّ كل فكرة جزئيّة أو عامّة يستهدف النّص أنْ يبرزها بشكل خاص، حينئذٍ (يقدّمها) على غيرها من الموضوعات، سواء أكانت الموضوعات الأُخرى ـ في حدّ ذاتها ـ أقل أو أشد أهميّة من الموضوع الذي استهدف النّص تقديمه...

ملاحظات:

البلاغة القديمة تعالج (التقديم والتأخير) في نطاق الجملة (المسند والمسند إليه)، وهذا قصور واضح دون أدنى شك، لأنّ النص ليس هو تلك (الجملة) المنفصلة عن الجمل الأخرى، بل هو مجموعة من الجمل يرتبط بعضها مع الآخر: فتقديم كلمة (ويلٌ) على (المطفّفين) أو تقديم كلمة (إيّاك) على (نعبد): لا تكشف وحدها عن بلاغة القرآن، بل أنّ حيويّة السورة القرآنيّة تتجسّد في (تقديم أو تأخير) الموقف والأفكار والموضوعات التي تتجاوز المفردة والجملة، كما لحظنا في سورة المطفِّفين، كما نلحظه في أيّة سورة أخرى، ومنها: مثلاً ملاحظة قصص موسى (عليه السلام) وهي متنوّعة تختلف كل واحدة منها على الأخرى من حيث تقديم بعض أجزائها على الأخرى مع أنّها تتناول سيرة واحدة، حيث نجد أنّ بعض قصصه تبدأ بذهابِه إلى فرعون ومطالبته بأداء الوظيفة الخلافيّة في الأرض، وهذا هو هدف النص من وراء (تقديمه) هذا الجانب دون غيره. ففي سورة القصص نجد أنّ سيرة موسى (عليه السلام) بدأت بهذا النحو (نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأ موسى وَفِرْعَونَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأرضِ... ونُرِيدُ أنْ نَمُنَّ على الذين اسْتُضْعِفُوا...) إلخ. فالهدف من هذا التقديم هو: إبراز وظيفة موسى، وفساد فرعون، ووراثة المستضعفين... لذلك قدّم النص هذه الموضوعات على سيرة موسى ذاته حيث سرد لنا بعد ذلك ولادة موسى وإلقاءه في اليمّ وكفالته وقتله لأحد الأقباط، وذهابه إلى مدين، وزواجه... إلخ

فالملاحظ هو: أنّ هدف النّص ليس إبراز أهميّة السيرة الشخصيّة لموسى (عليه السلام) وإلاّ لبدأ بالتسلسل الزّمني لحياة موسى، بل هو إبراز شريحة معيّنة منها هي: أداء وظيفته الخلافيّة، لذلك بدأها بالحديث عن علاقته مع فرعون، ثم رجع إلى التسلسل التأريخي لسيرته... لكن في سورة (طه) مثلاً، نجد أنّ قصة موسى (عليه السلام) بدأت بالحديث عن البحث عن النّار لأهله (وهل أتاك حديث موسى إذْ رأى ناراً... فلما أتاها نوديَ...) فهنا (قدّم) النّص قضيّة خاصّة هي البحث عن النّار وربطها بقضيّة النّبوّة، ثم رجعَ إلى حادثة إلقائِه اليمّ وكفالتهِ إلخ، ممّا يعني أنّ هدف (تقديمه) للبحث عن النّار وصلته بالنبوة ثمّ ممارسة الوظيفة الخلافيّة: هو إبراز حقيقة عباديّة تقول (كُنْ لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو) حيث أنَّ موسى في غمرة رجائه العثور على الدفء: إذ به يتلقّى مهمّة النبوّة.

إذنْ: تقديم حادثة (البحث عن النّار) ـ وهي قضيّة شخصيّة بحتة ـ حينما (قُدِّمت) على سائر الحوادث والمواقف. إنّما كان الهدف منها هو لفت نظرنا إلى معطيات الله تعالى وكونها تتدفّق على الإنسان من حيث لا يحتسب... ومثل هذه «الفكرة» لا يمكن أنْ نتبيَّنها من خلال (تقديم) المسند والمسند إليه، بل من خلال المقطع أو الفكرة التي تنطوي عليها السّورة الكريمة بالنحو الذي لحظناه، وهذا يعني أن قضيّة التقديم والتأخير تخضع لقاعدة خاصّة هي:

إنّ كل فكرة يستهدف النص التركيز عليها: حينئذٍ (تُقدّم) على غيرها، سواء أكانت في نطاق الفكرة العامّة أو الجزئيّة أو في نطاق العبارة أو الجملة...، يضاف إلى ذلك معالجة (التقديم والتأخير) في نطاق القاعدة التي أشرنا إليها: يخفّف عنّا ـ فضلاً عمّا تقدّم ـ العناء الذي فرضه البلاغيّون حينما فصّلوا (الحديث عن موارد التقديم مثل الصدارة، التخصيص، التشويق...) نظراً لأنّ هناك عشرات الموارد أو المسوّغات التي لا تخضع لعدد محدود، تقتضي التقديم، ولذلك فإنّ محاولة حصرها في عدد خاص كما صنع البلاغيون، يجعل الفضّية متّسمة بالجمود الذوقي وبتعطيله، فضلاً عن أنّ هذه الموارد تجعل القارئ تائهاً في غابة من المصطلحات المتشابكة التي يختلط بعضها مع الآخر إلى حد يتعذّر ضبطها والإفادة منها. وهذا بخلاف ما لو أعطيناه قاعدة عامّة هي: أنّ كل شيء لَهُ أهميّته في نظر مبدع النّص، (يُقدِّم) على غيره من الموضوعات بغضّ النّظر عن الموارد أو البواعث الكامنة وراء ذلك، بنحو ما تقدّم الحديث عنه.

ثمة ظواهر فنّية متنوّعة، تظلُّ على صلة بتقديم الشّيء وتأخيره، ومنها:

١- تنويع الزمن

المقصود من تنويع الزّمن هو: صياغته في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. ولا شكّ، أنّ الأصل في الأشياء أنْ تُسرد حسب تسلسلها الزّمني فتبدأ من الماضي وتمرّ بالحاضر وتتّجه إلى المستقبل.

إنّ قوله تعالى مثلاً: (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ، النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم السّاعةُ أدخلوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعذاب)، يتحدّث عن وقائع (ماضيه) هي غرق آل فرعون، ويتحدّث بعد ذلك عن وقائع (حاضرة) هي النار التي يعرضون عليها في البرزخ، ثم يتحدّث عن وقائع (مستقبليّة) هي: إدخال آل فرعون أشد العذاب، وبهذا يكون النص قد توكّأ على الزّمن حسب تسلسله (الماضي) (الحاضر) (المستقبل).

بيد أنّ النص الأدبي الذي يستهدف توصيل (فكرة) خاصّة إلى المتلقّي، لا يُخضع فكرته إلى التسلسل الزّمني بالضرورة، بقدر ما يخضعها إلى متطلبات الفكرة ذاتها (كما لحظنا ذلك بالنسبة إلى قصص موسى من حيث تقديم الزّمن وتأخيره حسب الهدف الفكري للنص)... وهذا يعني أنّ الماضي والحاضر والمستقبل يفقد تسلسله الموضوعي، وتتلاشى الحدود بينَ أزمنته، وتقطع إلى (وصلات)، تنتقل من (الحاضر) إلى (الماضي)، أو من المستقبل إلى الحاضر، أو من الماضي إلى المستقبل إلى الحاضر، وهكذا...

ويمكننا إنْ نجد في النموذج الآتي وهو سورة (النّازعات) أمثلة واضحة للتقطيع الزّمني.

السّورة هكذا تبدأ:

الحاضر (والنّازعات غرقا... إلى آخره) ثمّ تتّجه إلى:

المستقبل (يوم ترجف الرّاجفة... إلى آخره) ثمّ ترتد إلى:

الحاضر (يقولون: أإنّا... إلى آخره) ثمّ تتّجه إلى:

المستقبل (فإنّما هي زجرة واحدة... إلى آخره) ثمّ ترتدّ إلى:

الماضي (هل أتاك حديثُ... إلى آخره) ثمّ تتّجه إلى:

الحاضر (أأنتم أشدّ خلقاً...) ثمّ ترتدّ إلى:

الماضي (أمْ السّماءُ بناها...) ثمّ تتّجه إلى:

المستقبل (فإذا جاءت الطّامة...) ثمّ ترتدّ إلى:

الحاضر (فأمّا من طغى...) ثمّ تتّجه إلى:

المستقبل (فإنّ الجحيم هي المأوى...) ثمّ ترجع إلى:

الحاضر (وأمّا من خاف مقامَ ربّه...) ثمّ تتّجه إلى:

المستقبل (فإنّ الجنة هي المأوى...) ثمّ تتّجه إلى:

الحاضر (يسألونك عن الساعة...) ثمّ تتّجه إلى:

المستقبل (كأنّهم يوم يرونها...)

وتختم السورة به، حيث نجد أنّ النقلات بينَ الأزمنة الثلاثة قد بلغت عدداً كبيراً يلفت الانتباه، دون أدنى شك. وكلّ ذلك يتمّ بطبيعة الحال بحسب ما يتطلّبه الزّمان النفسي للقارئ. فالسورة بدأت بالحديث عن موقف حاضر هو (حركة الملائكة: النّازعات) لِلْفْتِ نظرنا إلى أهميّة هذه الحركة التي تنشط لقبض الأرواح مثلاً... ثمّ عبرتهُ إلى المستقبل (يومَ ترجف الرّاجفة)... وهذه النقلة خاضعة للزمن الموضوعي (حاضر ـ مستقبل)، ولكنّها عادت إلى (الحاضر) لماذا؟ لتنقل لنا استجابة أو موقف المشكّكين باليوم الآخر، ثمّ اتّجهت إلى المستقبل لتشير إلى أنّها زجرة واحدة تُفاجئ القوم، ثمّ قامت بعمليّة تذكير بوقائع (ماضيه) هي قضية موسى مع فرعون ونهايته لتكون عبرة للمشكِّكين، ثمّ ربطت بينّ الحاضر وبينَ الماضي من خلال مقارنتها بين خلق هؤلاء وبينَ خلق السّماء التي هي أشدّ إبداعاً... وهكذا، نجد أنّ النقلات الزمانيّة فرضتها طبيعة (الزّمان النّفسي) للمشكّكين أو (الزّمان النّفسي) للقارئ الذي يستهدف النّص توصيل هذه الفكرة إليه لتعديل سلوكه...

وهذا بعامّة، فيما يتصل بالتقطيع أو التنويع الزّماني للظواهر.

بيد أنّ عملية التنويع هذه، تخضع لمستويات خاصّة من الصياغة، ندرجها ضمن عنوان:

(مستويات التنويع):

يتمّ التنويع الزّماني في مستويين:

١- تنويعه من حيث التقطيع للأزمنة ذاتها، على نحو ما لحظنا في السّورة المتقدّمة.

٢- تنويعه من حيث صيغه التعبيريّة: أي تنويع الصِّيغ التعبيريّة التي تستخدم لتحديد الماضي أو الحاضر أو المستقبل (فعلَ، يفعلُ، سيفعلُ).

وهي على مستويين أيضاً من حيث دلالاتها، وهما:

١- صيغ ذات دلالة مطلقة.

٢- صيغ ذات دلالة نسبيّة.

ولنعرض لكل منهما، فنتحدّث أوّلاً عن:

١- الدلالة المطلقة:

ويُقصد بها الصّيغ التعبيريّة التي تدلُّ بالفعل على ما هو ماضٍ من الأشياء أو ما هو حاضر منها أو ما هو مستقبل منها، مثل قوله تعالى: (أَلْهَاكُم التكاثُر) حيث تدل على ما هو ماضٍ من السلوك، ومثل (يُسبّح للهِ ما في السّماواتِ والأرضِ) حيث تدل على ما هو حاضر، ومثل (سَبّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلى) حيث تدل على ما هو مستقبل. ومثل كلمة (سوف) أو حرف (السين) الدالين على ما هو مستقبل من الأزمنة.

فهذا النمط من الصّيغ التعبيريّة يدل مطلقاً على نوع الزّمان الذي حدث أو يحدث بالفعل أو يحدث بالمستقبل...

والمسوّغ البلاغي لهذا النّمط هو مجرّد التحديد الزمني...

بيد أنَّ الأسرارَ البلاغيّة تكتسب فاعليّة كبيرة حينما تخضع هذه الصيغ إلى النمط الآخر منها، وهو:

٢- الدلالة النِّسبيّة:

ويُقصد بها أنّ صيغ الماضي والحاضر والمستقبل تأخذ محدّداتها الزمنيّة وفق (الزمان النّسبي) لها، بحيث يصاغ الفعل أو الاسم بصيغة الماضي، ولكنّه يتحدّث عن المستقبل، أو يتحدّث عن المستقبل بصيغة الحاضر، أو الحاضر بصيغة المستقبل، وهكذا...

فمثلاً قولهِ تعالى: (وَقالُوا: لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أوْ نَعْقِل ما كنّا في أصْحابِ السَّعيرِ) أو قوله تعالى: (اذهبْ إلى فرعونَ إنّه طغى)، تشتمل على صيغ تعبيريّة لما هو ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل، ولكنّها لا تدلّ على ما هو ماضٍ أو حاضرٍ أو مستقبل بالفعل، بل بما هو (نسبي) من الزّمن... فعبارة (وقالوا: لو كنّا نسمع... إلى آخره) لم تتم في زمن ماضٍ، بل سوف تتمّ في المستقبل، وعبارة (اذهب إلى...) لم تدل على مستقبل لم يحدث بعد، بل على ماض قد حدث وعبارة (نسمع) لم تدل على الحاضر، بل لما يتم في المستقبل، وأهميّة مثل هذه الصيغ هي: أنها (تقتطع) شريحة من الزّمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وتخضعه لزمان (نسبي) يشتمل بدوره على الأزمنة الثلاثة. وهذه الأزمنة تُصاغ على نمطين:

١- أن تتناسب صيغها مع واقع الزمن مثل (اذهب إلى فرعون إنّه طغى). فصيغة (اذهب) تدلُّ على المستقبل (وفي حينه لم يذهب موسى إلى فرعون بعد) فجاءت الصّيغة التعبيريّة متناسبة مع الزّمن. كما أنّ صيغة (طغى) تدلّ على أنّ فرعون قد (طغى) في الماضي، فجاءت الصيغة متناسبة مع الزّمن، ومثل قوله تعالى: (وَأوْرَثْنَا الأرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنّةَ) فصيغة (أورثنا) تدلّ على ما هو ماضٍ، حيث تحدث في المستقبل هذه الوراثة فعلاً، وتصبح ماضياً، وصيغة (نتبوّأ) تدلّ على ما هو حاضر ومستمر لأنّهم بعد الإيراث (يتبوّءون) بشكل استمراري أمكنتهم من الجنة فجاءت الصّيغة متناسبة مع الزّمن.

٢- أنْ تناسب صيغها مع الزّمن النفسي، وهذا من نحو (يقولون: أإنّا لمردودون في الحافرة... قالوا تلك ـ إذاً ـ كرّة خاسرة).

فهنا نلحظ صياغتين: حاضرة: (يقولون) وماضية: (قالوا) مع أنّ الموقفين يحصلان في زمن حاضر... والمسوّغ الفني لهذا التفاوت هو أنّ الكافرين في الحالة الأُولى مستمرون في تشكيكهم (أإنا لمردودون) حيث يتساءلون أو يستفهمون، والتساؤل أو الاستفهام دال على عدم اليقين، ولذلك جاءت الصيغة (يقولون) متناسبة مع حالة التساؤل أو الاستفهام، وهذا بعكس صيغة الماضي (قالوا) حيث تحدّثوا بيقين ـ سخرية أو قناعة ـ بأنهم في حال العودة يكونون حاضرين، ولذلك جاءت الصيغة (الفعل الماضي) متناسبة مع اليقين.

من الظّواهر المرتبطة بقضيتي التقديم والتّأخير، ظاهرتان تمثّلان أهميّة كبيرة في ميدان البلاغة وهما: عنصرا (المماطلة) و(المفاجأة). وبالرغم من أنّ هاتين الظاهرتين تبرزان في ميادين العمل القصصي والمسرحي، إلاّ أنهما ينسحبان أيضاً على مطلق النصوص الأدبيّة. أمّا ارتباطهما بقضيتي التّقديم والتأخير، فيتمثّل في أنّ (المماطلة) هي إرجاء الشيء وعدم الكشف عنه في بداية النّص ووسطه، ثمّ الإعلان عنه في نهاية النّص لغرض تشويق القارئ إلى متابعة الموضوع، وهذا ما يرتبط بقضيّة (التأخير).

وأمّا (المفاجأة) فهي مباغتة القارئ بحادثة أو موقف لم يكن متوقّعاً لها أي أنّها على الضّد من عنصر (المماطلة)، ولذلك ترتبط بحالة خاصّة تتأرجح بين مواقع النص بحيث تتقدّم أو تتأخّر بحسب ما يتطلبه السياق...

المهم أن نعرض الآن بشيء من التفصيل لهذين العنصرين، ضمن عنوان:

٢- المماطلة والمفاجأة

١- المماطلة:

ويُقصد بها أنّ النّص، يحتفظ ببعض الأسرار، ويؤجّل كشفها إلى آخر النص، لغرض تشويق القارئ، وجعله يتطلّع إلى معرفة ذلك الشيء المجهول، بحيث يتابع قراءة النص ليكتشف ذلك.

ولعلّ أوضح الأمثلة على ذلك هو: قصة موسى مع الخضر (عليهما السلام). فالقصة منذ البداية جعلت سفره محفوفاً بالغموض، وعندما التقى موسى (عليه السلام) الخضر (عليه السلام) حيث خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار، هذه الحوادث تجعل القارئ متشوّقاً لمعرفة السرّ الكامن وراء هذه الممارسات التي تحمل سرّاً قد احتفظ به النص ليكشفه في نهاية القصّة، وبالفعل نجد أنّ السِّر قد كشفه النّص في النهاية حيث أوضح سبب الممارسات المذكورة.

والمماطلة تتمّ على مستويين:

١- المماطلة الكليّة:

ويُقصد بها أنّ القصّة بأكملها تصاغ وفق حبكة تقوم على المماطلة بحيث تستهدف كشف أحد الأسرار طوال القصّة.

وهذا مثل قصة موسى مع الخضر؛ كما لحظنا.

٢- المماطلة الجزئيّة:

ويُقصد بها أنّ النص يؤجِّل كشف أحد الأسرار في جزئيّة من أجزائه وليس القصة بأكملها، وهذا مثل قصّة يوسف (عليه السلام) في كثير من جزئيّاتها بدءاً من إلقائه في البئر، مروراً بقضيّته مع امرأة العزيز، فإيداعه السجن، فخروجه منه، فقضيّته مع أخيه الذي وضع في رحله السقاية إلى آخره، حيث يظل القارئ متطلّعاً إلى معرفة النّتيجة المترتبة على هذه القضيّة أو تلك.

المماطلة والتشويق:

ممّا يرتبط بعنصر المماطلة، هو ما يطلق عليه مصطلح التشويق.

فالتشويق هو أعمُّ من المماطلة، بحيث تكون المماطلة أحد مصاديقه. وأمّا هو ـ أي التشويق ـ فيعني:

أنّ النص يصوغ الوقائع أو الأحداث بنحو يجعل القارئ متطلِّعاً لمعرفة ما سيحدث بعد.

ففي قصّة إبراهيم (عليه السلام) مثلاً مع قومه عندما حطّم أصنامهم، يظل القارئ متطلِّعاً لمعرفة ما سيحدث بالنسبة إلى إبراهيم عندما (قالوا: فأتوابه على اعين النّاس لعلّهم يشهدون)، ويظل متطلّعاً لمعرفة ما سيحدث عندما اعترفوا بكونهم حمقى هل سيتركونه أم يعاقبونه، ويظلّ متطلّعاً لمعرفة ما سيحدث عندما (قالوا: حرِّقوه وانصروا آلهتكم) هل سيحترق فعلاً أم لا؟...

وبهذا يتّضح أنّ الفارق بين التشويق وبين المماطلة، أنّ التشويق يتضمّن مطلق الأشياء التي يجعلها النص محفوفة بالغموض، وأمّا المماطلة فتختصّ ببعض الأسرار التي يحتفظ بها النّص ويماطل بها القارئ طوال القصّة ليكشفها له في نهاية القصّة.

من جانب آخر، فإنّ الكشف عن السرّ (بالنسبة إلى المماطلة) وتحديد ما سيحدث (بالنسبة إلى التشويق) يظل على مستويين أيضاً:

١- النهاية المغلقة: ويُقصد بها أنّ السر أو الكشف يتحدّد بوضوح: كالأمثلة المتقدمة.

٢- النهاية المفتوحة: ويُقصد بها أنّ السر أو الكشف لا يتحدّد بوضوح بل يُجعل ملفعاً بالغموض أيضاً بحيث يترك للقارئ بأن يستكشف بنفسه ذلك. وهذا من نحو قوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأ الْعَظِيْمِ، الذي هُم فيه مُخْتَلِفُونَ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ) حيث لم يحدّد النّص ما هو الشيء الذي سيعلمونه، بل تركنا نستكشف ذلك.

٢- المفاجأة:

ويُقصد بها أن النّص يفاجئ القارئ بحادثة أو موقف غير متوقع بالنسبة إليه. أي أنّه على العكس من المماطلة والتشويق. ففي المماطلة والتشويق يطمئن القارئ أو يتوقع ـ لا أقل ـ معرفة ماذا سيحدث دون أنْ يكتشفه أوّلاً... أمّا في (المفاجأة):

فإنّ الوقائع أو المواقف يفاجأ بها بدون أيّة توقّعات، وهذا مثل مفاجأة القارئ بالنسبة إلى تحوّل النّار برداً وسلاماً على إبراهيم (عليه السلام)، حيث إنّه يتوقّع إمّا أنْ يرجع القوم عن تصميم إلقائه في النار، أو أنّ النار ستلتهمه بشكل أو بآخر، ولكنّه فوجئ بتحوّلها إلى بردٍ وسلام...

مستوياتها:

١- من حيث الأدوات: المفاجأة تتمُّ في نطاق ما هو جزئي:

أمّا من خلال الأداة النحويّة المعروفة: (إذا)، وهذا من نحو: (فإذا هُمْ خَامِدُون) (فإذا هي حَيّةٌ تَسْعَى)...

- أو مِنْ خلال العبارة العامّة التي تحمل دلالة المفاجأة مثل قوله تعالى عن موسى وهو يبحث عن الدفء لأهله، حيث يفاجأ بمناداته من اللهِ تعالى واضطلاعه بمهمّة النبوّة، ذلك من خلال عبارة (نودي: يا موسى)...

٢- من حيث الدلالة: المفاجأة (من حيث الدلالة) تنشطر إلى:

- المفاجأة المألوفة: مثل (فإذا الذي بينكَ وبينهُ عداوة كأنّهُ وليٌّ، حميم) حيث لا تقترن هذه المفاجأة بأحداث أو مواقف معقّدة.

- المفاجأة النادرة: مثل تحوّل النّار إلى (برد وسلام)، وتحوّل السحرة إلى مؤمنين، حيث تقترن هذه المفاجأة بأحداث ومواقف معقّدة كما هو الحال بالنّسبة إلى السحرة الذين بدأوا مع فرعون، وفوجئوا ببطلان سحرهم، ومعايشتهم الصراع، ثمّ تحوّلهم إلى الإيمان...

الذكر والحذف

يتميّز النّص الأدبي عن غيره: بكونه (ينتقي) من الكلام ما هو ضروري، ويحذف ما هو زائد على الحاجة... لذلك عرَّفَ الإمام الصّادق (عليه السلام) البلاغة (في جانب منها) بأنّها (التبعّد عن حَشْوِ الكلام)، أي: (حذف) ما لا ضرورة له، و(ذكر) ما هو ضروري فحسب، لأنّ (ذكر) ما لا ضرورة له: يُعدُّ (فضولاً): كما هو واضح... فمثلاً: قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدا أبي لَهَبٍ وَتَب) يتضمّن ما هو ضروري من الكلام، لذلك لن (تذكر) في هذه الآية إلاّ العبارات (تبّت) (يدا) (أبي لهبٍ) (وتب). حيث استهدف النّص توضيح أنّ هذا الشخص قد خسر دنياه (تبّت يدا أبي لهب) وخسر آخرته (وتب) أي: خسر نفسه، فـ(ذكر) من خسارة دنياه: الصورة الفنّية (تبّت يدا) أي (خسرت يداه) وهي (رمز)، فخسارة ما في اليد من متاع الدنيا، ثم (ذكر) اسم الشخص (أبا لهب)، فكانت هناك ضرورة لـ(ذكر) الخسارة الدنيوية والاسم.

ثم (ذكر) عبارة (وتبّ) وحدها، وكان لا بد من (ذكر) هذه العبارة، لأنّ النّص يستهدف التذكير بخسارة الآخره..

إذن: كلّ ما (ذُكِرَ) في هذه الآية كان ضرورياً... بالمقابل:

)حَذْفَ) النص كثيراً من العبارات التي كان من الممكن أنْ تُذكر، ولكنّها لا ضرورة لها... وهذا مثل (حذفه) للعبارة التي تشير إلى (خسران النفس في الآخرة) حيث اكتفى بعبارة واحدة هي (وتب) أي: (وخسر)... ولكنّه ماذا خسر؟ هذا ما (حذفه) النّص معتمداً على ذكاء القارئ حيث يستنتج بأنّ الشخص قد خسر (نفسه)، فحذفت عبارة (النّفس) لأنّه يمكن أنْ يُستغنى عنها كذلك (حذف) عبارة (الآخر) لأنّه يمكن أنْ يَستغني عنها: ما دام (خسران النفس) يتمثّل في المصير الأُخروي...

وفي ضوء هذا النموذج، يمكننا أنْ نتعرّف مستويات الذكر والحذف أوّلاً، ثمّ نعرض للأسباب الفنّية التي تتطلب حذفاً أو ذكراً للعبارات أو الدلالات. ونقف مع:

مستويات الذكر والحذف:

-1هناك موارد للحذف والذكر، تختصُّ بـ(العبارات المحدّدة)، أي: العبارات الخاصّة التي تتطلب (حذفاً) أو (ذكراً)، مثل: عبارة (أبي لهب) حيث (ذكرها) النّص، ومثل (اسم امرأته) حيث (حذف الاسم أو الكنية)، واكتفى بـ(ذكر) (امرأتهِ) فحسب. بالذّكر والحذف هنا (كأبي لهب وامرأته)، قد تكون شيئاً أو سمة أو ظاهرة من الظواهر...

-2وهناك من الموارد ما يتّصل (الذكر والحذف) منها بـ(المعاني أو الأفكار أو الموضوعات) بحيث لا تتحدّد في عبارات خاصّة بل يمكن في أيّة عبارة تعبّر عن ذلك الموضوع أو الدلالة، وهذا مثل (موضوع الخسارة الدنيويّة والأُخرويّة لأبي لهب) حيث (ذكر) النّص ـ في التعبير عن هذا الموضوع ـ بعبارات مثل (تبّت يدا أبي لهب وتب)، ويمكن أنْ يعبر عنها بعبارات أخرى.

والمهم، أنّ هناك (مسوّغات فنيّة) هي التي تفرض ما إذا كان (الذّكر) أو (الحذف): موسوماً بالضرورة أو عدمها... وهذا ما نعرض له ضمن عنوان:

المسوّغات الفنيّة للذكر والحذف

-مسوّغات الحذف:

هناك جملة من المسوّغات الفنيّة للحذف، منها:

-1الاقتصاد اللُّغوي:

إنّ المسوغ الرئيس للحذف يتمثّل ـ كما أشرنا ـ في التركيز على ما هو (ضروري) من الكلام، وحذف ما لا ضرورة له، لأنّ (الفضول) أمرٌ لا يقرّه المشرّع الإسلامي حتّى في نطاق الكلام العادي (فضلاً عن الكلام الفنّي)، فالتوصيات الإسلاميّة طالما تُشير إلى أنّ الشخصيّة ينبغي ألاّ تتحدّث إلاّ بما هو (هادف) من الكلام، وأنْ تترك ما لا فائدة فيه.

-2المشاركة الفنّية للقارئ:

المسوغ الآخر لـ(الحذف) هو: أن بعض المواقف تتطلب مشاركة القارئ ومساهمته في الكشف عن الحقائق، لأنّ ترك القارئ مجرّد متلق سلبي يتسلّم الحقائق جاهزة دون أنْ يعمل فكره فيها: يجعله عاطل الذهن، وهو أمرٌ لا تقرّه التوصيات الإسلامية، حيث نجد أن المشرع الإسلامي يرسم الخطوط العامّة في مجالات الفقه والعقائد والأخلاق: تاركاً لرجال الفكر أن يكتشفوا بعض الحقائق وينظّموها وفق المناهج العلميّة التي نألفها في مختلف العصور...

كذلك، فإنّ كل قارئ لا بدّ أن تُتاح له مجالات الاكتشافات وإعمال الذهن في ما يتلقاه من نصوص فنيّة... وهذا ما نلحظه في نصوص القرآن والسنّة حيث تحتشد هذه النصوص بعبارات رمزيّة أو مكثّفة أو مجملة: يُترك للقارئ من خلالها أن يكتشف بنفسه هذه الرّموز أو العبارات المجملة التي (حُذفت) تفصيلاتها.

ويلاحظ: أنّ الاتجاه الأدبي المعاصر يُشدّد في هذه الظاهرة، بحيث يتعمّد الكاتب (تضبيب) النّص الأدبي: حتّى يحمل القارئ على المساهمة في الكشف عن الدلالة: بصفة أنّ (الفن) هو عمليّة (كشف) للحقائق وليس عمليّة نقل ومحاكاة وتقليد لها...

وأهميّة هذا الكشف تتمثّل في:

أوّلاً: جعل القارئ في حركة ذهنيّة...، لأنّ إعمال الذهن هو تنشيط له.

ثانياً: إنّ إعمال الذهن يقترن بعنصر الإمتاع الفنّي، أي: أنّ القارئ يتحسّس بالمتعة الجماليّة التي تتحقّق من خلال إعمال الذهن.

ثالثاً: إنّ إعمال الذهن، يترك القارئ مساهماً في كشف الحقائق فيكون بذلك طرفاً في هذه العمليّة...

-3الاستيحاء الفنّي:

المسوغ الثالث للحذف هو: أنّ القرّاء يتمايزون ويتفاوتون فيما بينهم بالنسبة إلى ما يملكونه من تجارب وخبرات في حياتهم... لذلك فإنّ كل قارئ ـ عندما يواجه نصّاً فنيّاً ـ سوف (يستوحي) و(يستخلص) و(يستنتج) من النّص: دلالات متنوّعة تتناسب مع طبيعة تجاربه وخبراته... لذلك عندما (يحذف) النّص ما هو (الواضح) و(المكشوف) من الدلالات: إنّما يترك المجال لكل قارئ بأنْ (يستوحي) الدلالة بحسب خبرته وتجربته. وهذا كله فيما يتصل بمسوّغات الحذف... كذلك فيما يتّصل بـ:

-مسوّغات الذكر:

ما لحظناه من المسوغات الفنية لـ(الحذف) ـ وهي الاقتصاد اللّغوي، المشاركة، الاستيحاء ـ تتمثل أيضاً في عملية (الذكر)... فكلّ عبارة (تُذكر): (مختصرة)، أو (غامضة)، أو (رمزيّة): فإنّ الهدف منها هو: الاقتصاد اللغوي، ثمّ جعل القارئ مساهما في الكشف عمّا هو غامض، ثم جعله (مستوحياً) من العبارة الرمزيّة أو المكثّفة: ما يتناسب مع طبيعة تجربته وخبرته الخاصّة التي يختلف فيها الأفراد من واحد لآخر...

ولكي نتبيّن بوضوح: مسوّغات الحذف والذكر (في ضوء الحقائق المشار إليها)، يَحسُن بنا أنْ نعرض للنموذج الآتي في القرآن الكريم، وهو قصّة (طالوت) التي وردت في سورة البقرة:

في قصّة طالوت سأل الإسرائيليّون نبيّهم أنْ يبعث إليهم ملكاً يقاتلون تحت لوائه (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وبَقِيَّةٌ ممّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هَارُون تَحْمِلُهُ الْمَلائكةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ فَلَمّا فَصَلَ طَالوتُ بالْجُنُودِ قَال: إِنَّ اللهَ مبتَلِيكُمْ بنهرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فإِنّهُ مِنِّي إلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِه، فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاّ قَلِيْلاً مِنْهُمْ، فَلَمّا جَاوَزَهُ هو وَالذينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا: لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْم بِجَالوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الذينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللهِ: كَم مِنْ فِئةً قَلِيْلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيْرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصّابرينَ ولَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالوا: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ، وَقَتَلَ داوُدُ جَالُوتَ، وَآتاهُ اللهُ الْمُلْكَ والْحِكْمَةَ وَعَلَّمهُ مِمّا يَشَاءُ، وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرضُ وَلكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العالَمِينَ.(

لنلاحظ أن النّص عندما قال: (فلما فصل طالوتُ بالجنود...): حذف جملة أشياء، منها:

-1لم يذكر لنا موافقة اليهود على طالوت ملكاً لأنّهم سبق أنْ رفضوه.

-2لم يذكر لنا كيفيّة تجهيز الجيش.

-3لم يذكر توجه الجيش إلى ساحة المعركة: بل اتّجه إلى القول رأساً بأنّ طالوت عندما وصل إلى النّهر، عرض عليهم امتحاناً هو: عدم الشرب من النّهر... لقد (حذف) النّص هذه الوقائع الثلاث:
)موافقة اليهود، تأسيس الجيش، وإرساله إلى السّاحة) لعدم ضرورة ذلك ما دام القارئ بمقدوره أنْ يستكشف المراحل المحذوفة من خلال عبارة (فلمّا فصل طالوتُ بالجنود...) حيث إنّ هذه العبارة تجعله مستكشفاً ذلك، طالما أنّ طالوت قد وصل بجنوده إلى النّهر، حينئذٍ فلا بدّ أنْ تكون الموافقة قد تمّت، وأنّ الجيش تمّ إعداده، وأنّ التوجّه إلى الساحة قد بدأ فعلاً...
كذلك، ما يتصل بالذكر... فالملاحظ هنا، أنّ النّص يستهدف لفت النّظر إلى أنّ اليهود كاذبون في ادّعاءاتهم القائلة بأنّهم مستعدّون للمقاتلة في سبيل الله، لذلك لم يبرز من الوقائع إلاّ ما له صلة بهذا الادّعاء و(يحذف) ما سواه...
من هنا يمكننا أنْ نفهم بلاغة (الذكر) أيضاً، فالملاحظ أنّ النّص (ذكر) حادثة (فصل طالوت بالجنود) وقوله: (إنّ اللهَ مبتليكم بنهرٍ)، فقد (ذكر) حادثة النهر لأنّ هذه الحادثة هي التي تكشف كذب اليهود في ادّعاءاتهم، وبالفعل خالَف اليهود تعاليم القائد (فشربوا منه ـ أي النهر ـ إلاّ قليلاً.(
إذاً: جاء (الذكر) ـ وهو حادثة النّهر ـ مرتبطاً بالسياق أو المواقف الذي فرضهُ، ما دام الهدف هو إبراز الكذب والجبن والخداع عند الإسرائيليّين، كما جاء (الحذف) مستنداً إلى السياق ذاته؛ ما دامت لا ضرورة هناك إلاّ ما يلقى الإنارة على ما يستهدفه النّص من حقائق... وهذا فيما يتصل بما لا ضرورة له...
أمّا ما يتصل بالأسباب الأخرى للحذف مثل: المساهمة في الوصول إلى الحقائق، واستيحائها حسب خبرة الشخص، فيمكننا أنْ نتبيّنها مِنْ النموذج المتقدّم نفسه؛ حيث استخلصَ القارئ جملة حقائق من حقيقة (محذوفة)، منها: أنّ الإسرائيليين طلبوا من نبيّهم دليلاً تجريبيّاً على صحة إرسال طالوت ملكاً: بدليل قوله: (إنّ آية ملكه أنْ يأتيكم التّابوت)، ومنها: ما أشرنا إليه من موافقتهم على هذا الدليل... إلخ.
وأمّا الاستيحاء الفني حسب خبرة القارئ: فيمكن توضيحه من خلال تساؤله عن سبب قناعة اليهود أخيراً بظاهرة (التابوت) دون غيره من الأسباب، وفي مقدمتها أنّ طالوت قد تميّز بسمات القائد المطلوب مثل: سعة الجسم والعلم، إلاّ أنّهم رفضوه لعدم انتسابه للعائلة اليهوديّة، فلماذا قبلوا التابوت دون غيره: إذاً هنا تبرز أهميّة (الاستيحاء الفني) من وراء (الحذف)... فقد يربط أحدُنا بين كون التابوت معروفاً لديهم في تجارب سابقة، وقد يربط آخر بين التابوت وبين (آل موسى وهارون) من حيث انتساب اليهود إليهم، وقد يربط ثالث بين ذلك وبين حمل (الملائكة) له، وقد يستخلص رابع أنّ استمراريّة تمردهم سوف يعود عليهم بنتائج سلبيّة إلخ... وهذا فيما يتّصل بالحذف...
والأمر نفسه فيما يتصل بـ(الذكر)... فإذا كان الحذف يستدعي مساهمة القارئ في استكشاف ما هو محذوف، فإنّ ما هو (مذكور) يستدعي بدوره مساهمة في استكشاف دلالات متنوّعة... فعندما (يذكر) النّص حادثة الشرب (فشربوا منه إلاّ قليلاً) يستخلص النّتيجة القائلة: بأنّ اليهود كاذبون في ادّعاءاتهم، وعندما (يذكر) النّص حادثة الامتحان (وهو عدم الشرب) يستخلص النتيجة القائلة: بأنّ المهم هو أنْ يلتزم الإنسان بتوصيات السماء وليس المهم أنْ يعرف وجه الحكمة في هذا الامتحان أو ذاك.

تمهيد
العلم بمواقع الجمل، والوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف والاستئناف، والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها ـــ صعب المسلك، لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي قسطًا موفورًا من البلاغة، وطبع على إدراك محاسنها، ورزق حظًّا من المعرفة في ذوق الكلام؛ وذلك لغموض هذا الباب، ودقة مسلكه، وعظيم خطره، وكثير فائدته، يدل لهذا أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة.
فقد سُئل عنها بعض البلغاء، فقال: «هي معرفة الفصل والوصل.»
تعريف الوصل والفصل في حدود البلاغة
الوصل عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف[1] بين الجملتين، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى.
فالجملة الثانية تأتي في الأساليب البليغة مفصولة أحيانًا، وموصولة أحيانًا.
فمن الفصل، قوله تعالى: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فجملة «ادفع» مفصولة عمَّا قبلها، ولو قيل: «وادفع بالتي هي أحسن» لما كان بليغًا.

ومن الوصل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ عطف جملة «وكونوا» على ما قبلها.
ولو قلت: «اتقوا الله كونوا مع الصادقين» لما كان بليغًا.
فكل من الفصل والوصل يجيء لأسباب بلاغية.
ومن هذا يُعلم أن الوصل جمع وربط بين جملتين «بالواو خاصة» لصلة بينهما في الصورة والمعنى، أو لدفع اللَّبس.
والفصل: ترك الربط بين الجملتين؛ إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإما لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى.
بلاغة الوصل
وبلاغة الوصل: لا تتحقق إلا «بالواو» العاطفة فقط دون بقية حروف العطف؛ لأن «الواو» هي الأداة التي تخفَى الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك؛ إذ لا تفيد إلا مجرد الربط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، نحو: «مضى وقت الكسل، وجاء زمن العمل، وقم واسْعَ في الخير».
بخلاف العطف بغير «الواو» فيفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في «الفاء» وكالترتيب مع التراخي في «ثمَّ»؛ وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عُطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله.
وشرط العطف «بالواو» أن يكون بين الجملتين «جامع»؛ كالموافقة في نحو: «يقرأ ويكتبُ»، وكالمضادة في نحو: «يضحك ويبكي»، وإنما كانت المضادة في حكم الموافقة؛ لأن الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر «فالعلم» يخطر على البال عند ذكر «الجهل» كما تخطر «الكتابة» عند ذكر «القراءة».
و«الجامع» يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعًا، فلا يقال: «خليل قادم، والبعير ذاهب» لعدم الجامع بين المسند إليها، كما لا يقال: «سعيد عالم، وخليل قصير» لعدم الجامع بين المسندين، وفي هذا الباب مبحثان.
(١) المبحث الأول: في إجمال مواضع الوصل
الوصل: عطف جملة على أخرى «بالواو» ويقع في ثلاثة مواضع:[٢]

- الأول: إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظًا ومعنًى، أو معنًى فقط،[٣] ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى.

فمثال الخبريتين قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ[٤] * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ومثال الإنشائيتين قوله تعالى: فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ، وقوله سبحانه: وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.
وصل جملة «ولا تشركوا» بجملة «واعبدوا» لاتحادهما في الإنشاء، ولأن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان أن يؤديه لخالقه، ويختصه به.
ومن هذا النوع قول المرحوم شوقي بك:
عالجوا الحكمة واستشفوا بها

وانشُدوا ما حلَّ منها في السِّيَرْ
فقد وصل بين ثلاث جمل، تتناسب في أنها مما يتعلق بأمر «الحكمة» وبواجب «الشباب» في طلبها والانتفاع بها.
ومثال المختلفتين قوله سبحانه: إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ أي: إني أشهد الله وأشهدكم،[٥] فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظًا، ولكنها خبرية في المعنى.[٦]
ونحو: «اذهب إلى فلان، وتقول له كذا» فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظًا، ولكنها إنشائية معنًى «أي: وقُلْ له»، فالاختلاف في اللفظ لا في المعنى المعول عليه؛ ولهذا «وجب الوصل».
وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

- الثاني: دفع توهُّم غير المراد؛ وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يُوهِم خلاف المقصود[٧] كما تقول مجيبًا لشخص بالنفي: «لا، شفاه الله»[٨] لمن يسألك: هل برئ عليٌّ من المرض؟ «فترك الواو يُوهم السامع الدعاء عليه، وهو خلاف المقصود؛ لأن الغرض الدعاء له».[٩] ولهذا «وجب أيضًا الوصل».

وعطف «الجملة الثانية» الدعائية الإنشائية على «الجملة الأولى» الخبرية المصدَّرة بلفظ «لا» لدفع الإيهام، وكلٌّ من الجملتين لا محل له من الإعراب.

- الثالث: إذا كان «للجملة الأولى» محل من الإعراب، وقُصِدَ تشريك «الجملة الثانية» لها في الإعراب حيث لا مانع، نحو: «عليٌّ يقول ويفعل».[١٠]

تمرين

وضح أسباب الوصل في الجمل الآتية:

- (١)

قال عز وجل: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا.

- (٢)

وقال سبحانه: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا.

- (٣)

وقال سبحانه: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ.

- (٤)

وقال عليه الصلاة والسلام: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.»

- (٥)

قال أبو العتاهية:

تأتي المكاره حين تأتي جملة

وأرى السرور يجيء في الفلتات

- (٦)

وقال المتنبي:

وكل امرئ يولي الجميل محبَّب

وكل مكان يُنبِت العزَّ طيب

- (٧)

وقال المعري:

اضربْ وليدَك وادْلُلْهُ على رَشَدٍ

ولا تقل هو طفل غير محتَلِمِ
فرُبَّ شقٍّ برأسٍ جَرَّ منفعةً

قِسْ على نَفْعِ شقِّ الرأسِ في القلمِ

- (٨)

وقال:

يصون الكريمُ العِرضَ بالمال جاهدًا

وذو اللؤم للأموال بالعِرض صائن

- (٩)

وقال مسلم بن الوليد:

يجود بالنفس إن ضنَّ الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

- (١٠)

وقال أبو نواس:
نسيبك من ناسبتَ بالود قلبه

وجارك من صافيتَ لا من تُصاقِب

- (١١)

وقال الغزي:
إنما هذه الحياة متاع

والسفيه الغبي من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمَّل غيب

ولك الساعة التي أنت فيها

تمرين آخر

بيِّن أسباب الفصل في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى:

- (١)

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ.

- (٢)

وقال تعالى: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

- (٣)

وقال تعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ.

- (٤)

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ.

- (٥)

وقال سبحانه: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا.

- (٦)

وقال عز وجل: وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ.

- (٧)

قال أبو العتاهية:
الصمت أجمل بالفتى

من منطق في غير حينه
لا خير في حشو الكلا

م إذا اهتديت إلى عيونه
كل امرئ في نفسه

أعلى وأشرف من قرينه

- (٨)

وقال أبو تمام:
ليس الكريم الذي يُعطي عطيته

عن الثناء وإن أغلى به الثمنا
إن الكريم الذي يُعطي عَطِيَّته

لغير شيء سوى استحسانه الحَسَنا
لا يستثيب ببذل العُرف مَحْمَدة

ولا يَمُنُّ إذا ما قلَّد المننا

- **(٩)**

وقال المتنبي:
لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يُفقر والإقدام قَتَّال

- **(١٠)**

وقال الشريف الرَّضِيُّ:
لا تأمننَّ عدوًّا لانَ جانبُه

خشونةُ الصِّل عُقْبَى ذلك اللين

- **(١١)**

وقال المعري:
لا يُعجبنَّك إقبالٌ يريك سَنًا

إن الخمود لعمري غاية الضرم

- **(١٢)**

وقال الخفاجي:
الناس شتَّى وإن عمَّتهم صورٌ

هي التناسب بين الماء والآل

- **(١٣)**

وقال أبو فراس:
لا تطلبن دنوَّ دا

رٍ من خليل أو مُعَاشِرْ
أبقى لأسباب المودَّة

أن تزور ولا تجاور

- **(١٤)**

وقال الحُطَيْئة:
من يفعل الخير لا يعدم جَوازِيَهُ

لا يذهب العُرف بين اللهِ والناسِ

- (١٥)

وقال أعرابي قَتل أخوه ابنًا له:
أقول للنفس تَأْساءً وتعزيةً

إحدى يديَّ أصابتني ولم تُرِدِ
كلاهما خلف من فقد صاحبه

هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

- (١٦)

وقال الغزي:
من أغفل الشِّعر لم تعرف مناقبه

لا يُجتنى ثمر من غير أغصان

- (١٧)

وقال ابن شرف:
لا تسألِ الناسَ والأيامَ عن خبر

هما يَبُثَّانِكَ الأخبارَ تفصيلا
(١٨) ولكل حُسْنٍ آفة موجودة

إن السراج على سناه يُدَخَّن
(١٩) بالعلم والمال يبني الناس ملكهم

لم يُبْنَ مُلْكٌ على جهل وإقلال

(٢) المبحث الثاني: في مُجمل مواضع الفصل[١١]

من حقِّ الجُمَل إذا ترادفت ووقع بعضها إثر بعضٍ أن تُربط بالواو؛ لتكون على نسق واحد، ولكن قد يَعرض لها ما يوجب ترك الواو فيها، ويُسمى هذا فصلًا، ويقع في خمسة مواضع:

- الموضع الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وامتزاج معنوي، حتى كأنهما أُفْرِغَا في قالب واحد، ويُسمى ذلك «كمال الاتصال».
- الموضع الثاني: أن يكون بين الجملتين تباين تام، بدون إيهام خلاف المراد، ويُسمى ذلك «كمال الانقطاع».
- الموضع الثالث: أن يكون بين الجملتين رابطة قوية، ويُسمى ذلك «شبه كمال الاتصال».
- الموضع الرابع: أن يكون بين الجملة الأولى والثانية «جملة أخرى ثالثة متوسطة» حائلة بينهما، فلو عُطفت الثالثة على «الأولى المناسبة لها» لتُوهِّم أنها معطوفة على «المتوسطة» فيُترك العطف، ويُسمى ذلك «شبه كمال الانقطاع».
- الموضع الخامس: أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع، وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، ويُسمى ذلك «التوسط بين الكمالين».

(٣) المبحث الثالث: في تفصيل مواضع الفصل الخمسة السابقة

أحيانًا تتقارب الجمل في معناها تقاربًا تامًّا، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجملة الأولى، وقد تنقطع الصِّلة بينهما.
إمَّا لاختلافهما في الصورة، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية والأخرى خبرية.
وإمَّا لتباعد معناهما، بحيث لا يكون بين المعنيين مناسبة، وفي هذه الأحوال يجب الفصل في كل موضع من المواضع الخمسة الآتية، وهي:

- **الموضع الأول: «كمال الاتصال» وهو اتحاد الجملتين اتحادًا تامًّا، وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها:**
  - **(أ)بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى، نحو: وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ.١٢**
  - **(ب)أو: بأن تكون الجملة الثانية بيانًا لإبهام في الجملة الأولى، كقوله سبحانه: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ فجملة «قال يا آدم» بيان لما وسوس به الشيطان إليه.**
  - **(جـ)أو: بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى، بما يشبه أن يكون توكيدًا لفظيًّا أو معنويًّا، كقوله عز وجل: فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا وكقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحادًا تامًّا يمنع عطف الشيء على نفسه «ويوجب الفصل».**
- **الموضع الثاني: «كمال الانقطاع» وهو اختلاف الجملتين اختلافًا تامًّا.**
  - **(أ)بأن يختلفا خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنًى، أو معنًى فقط، نحو: «حضر الأمير حفظه الله» ونحو: «تكلمْ إني مُصْغٍ إليك» وكقول الشاعر:**

وقال رائدهم أُرْسُوا نُزاوِلُها

فحَتْفُ كلِّ امرئٍ يَجْرِي بمقدار١٣

  - **(ب)أو: بألا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط، بل كل منهما مستقل بنفسه، كقولك: «عليٌّ كاتب – الحمام طائر»؛ فإنه لا مناسبة بين كتابة علي وطيران الحمام.**

وكقوله:

إنما المرء بأصغريه

كل امرئ رهن بما لديه

فالمانع من العطف في هذا الموضع «أمر ذاتي» لا يمكن دفعه أصلًا وهو التباين بين الجملتين؛ ولهذا وجب الفصل، وترك العطف؛ لأن العطف يكون للربط، ولا ربط بين جملتين في شدة التباعد وكمال الانقطاع.

- **الموضع الثالث: «شبه كمال الاتصال» وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى؛ لوقوعها جوابًا عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى، فتُفصل عنها كما يُفصل الجواب عن السؤال، كقوله سبحانه: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ١٤ ونحو قول الشاعر:**

زعم العوازل أنني في غمرة

صدقوا، ولكنَّ غمرتي لا تنجلي

كأنه سئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا،١٥ ونحو:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الحد واللعب

فكأنه استفهم وقال: لِمَ كان السيف أصدق؟ فأجاب بقوله: في حدِّه ... إلخ.

فالمانع من العطف في هذ الموضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين، فأشبهت حالة اتحاد الجملتين؛ ولهذا «وجب أيضًا الفصل».

- **الموضع الرابع: «شبه كمال الانقطاع» وهو أن تُسبق جملة بجملتين يصح عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى، فيُترك العطف بالمرة؛ دفعًا لتوهم أنه معطوف على الثانية، نحو:**

وتظن سلمى أنني أبغي بها

بدلًا أراها في الضلال تهيم
فجملة «أراها» يصح عطفها على جملة «تظن»، لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة «أبغي بها» فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنه غير المقصود؛ ولهذا امتنع العطف بتاتًا «ووجب أيضًا الفصل».
والمانع من العطف في هذا الموضع «أمر خارجي احتمالي» يمكن دفعه بمعونة قرينة، ومن هذا ومما سبق يُفهم الفرق بين كل من «كمال الانقطاع» و«شبه كمال الانقطاع».

- الموضع الخامس: «التوسط بين الكمالين مع قيام المانع» وهو كون الجملتين متناسبتين، وبينهما رابطة قوية، لكن يمنع من العطف مانع، وهو عدم التشريك في الحكم، كقوله تعالى: وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ.

فجملة «يستهزئ بهم» لا يصح عطفها على جملة «إنَّا معكم» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين، والحال أنه من مقوله تعالى «دعاء عليهم» ولا على جملة «قالوا»؛ لئلا يتوهم مشاركته له في التقييد بالظرف، وأنَّ استهزاء الله بهم مقيد بحال خلوهم إلى شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد بحال من الأحوال؛ ولهذا «وجب أيضًا الفصل».

تنبيهان

- الأول: لما كانت الحال تجيء جملة، وقد تقترن بالواو وقد لا تقترن؛ فأشبهت الوصل والفصل؛ ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها، نحو: جاء فؤاد والشمس طالعة.[١٦]

ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

- (١)إذا كان فعلها ماضيًا تاليًا «إلا» أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتسوية، نحو: «ما تكلم فؤاد إلا قال خيرًا»، وكقول الشاعر:

كن للخليل نصيرًا جار أو عدلًا

ولا تشحَّ عليه جاد أو بخلا

- (٢)إذا كان فعلها مضارعًا مثبتًا أو منفيًّا «بما أو لا» نحو: وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ونحو: وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ ونحو:

عَهِدْتُكَ ما تصبو وفيك شبيبة

فما لك بعد الشيب صبا متيَّما

- (٣)إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف، أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها، كقوله تعالى: فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ وكقوله تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ.[١٧]

- الثاني: عُلم مما تقدم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية، ولا بد مع اتفاقهما من «جهة» بها يتجاذبان، وأمر «جامع» به يتآخذان، وذلك «الجامع»: إما عقلي،[١٨] أو وهمي،[١٩] أو خيالي.[٢٠]

تمرين آخر

عيِّن أسباب الوصل والفصل في الأمثال الآتية:

قال الله تعالى:

- (١)

مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ.

- (٢)

وقال الله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ.

- (٣)

وقال: لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

- (٤)

وقال جل شأنه: يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

- (٥)

وقال أبو العتاهية:
وإذا ابتُلِيتَ ببذل وجهك سائلًا

فابذله للمتكرِّم المِفضال
ما اعتاض باذلٌ وجهَه بسؤاله

عوضًا ولو نال الغنى بسؤالِ

- (٦)

وقال:
من عرف الناسَ في تصرفهم

لم يتَّبع من صاحبٍ زَللا
إن أنت كافأت من أساء فقد

صرت إلى مثل سوء ما فعلا

- (٧)

قال أبو تمام:
أولى البرية حقًّا أن تراعيه

عند السرور الذي آساك في الحزن
إن الكرام إذا ما أَيْسَروا ذَكروا

من كان يألفهم في المنزل الخشن

- (٨)

وقال المتنبي:
ذلَّ من يَغبط الذليل بعيش

رُبَّ عيش أخف منه الحِمام
من يهُن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت إيلام

- (٩)

وقال:
أفاضل الناس أغراض لذا الزمن

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

- (١٠)

وقال أيضًا:
إذا نحن شبهناك بالبدر طالعًا

بخسناك حقًّا أنت أبهى وأجمل

- **(١١)**

وقال بشار:
الشيب كره وكره أن يفارقني

اعجب لشيء على البغضاء مودود

- **(١٢)**

وقال أبو نواس:
عليك باليأس من الناس

إن غِنى نفسك في اليأس
وقال المعري:
إن الشبيبة نار إن أردت بها

أمرًا فبادر إن الدهر مُطْفِيها
وقال الطغرائي:
جامل عدوك ما استطعت فإنه

بالرِّفق يُطمع في صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه

إن نمت عنه فليس عنك براقد
أسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها
ما هو الوصل؟ ما هو الفصل؟ كم موضعًا للوصل؟ كم موضعًا للفصل؟ ما هو الجامع العقلي؟ ما هو الجامع الوهمي؟ ما هو الجامع الخيالي؟ متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها؟ في كم موضع يجب فصل الجملة الحالية؟
تطبيق عام على الوصل والفصل
جرَّبت دهري وأهليه فما تركتْ

لي التجارِب في ودِّ امرئ غرضا
فصلت الثانية؛ لشبه كمال الاتصال، فإنها جواب سؤال.
يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ.
فصلت الثانية؛ لشبه كمال الاتصال، فإنها جواب سؤال ناشئ مما قبلها.
فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا عطف الجملة الثانية على الأولى؛ لاتفاقهما في الإنشاء، مع المناسبة التامة بين المفردات، فإن المسند إليه فيهما متحد، والمسند وقيدهما متقابلان.
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ عطف الجملة الثانية على الأولى؛ لاتفاقهما خبرًا ـــ لفظًا ومعنًى ـــ مع المناسبة التامة بين مفرداتهما، فإن المسندين المقدرين فيهما متحدان، والمسندان إليهما متقابلان، وقيدهما الأول متحد، والثاني متقابل.
«اشكرِ الله على السراء يُنْجِك من الضراء» لم تعطف الثانية على الأولى؛ لكمال الانقطاع، فإن الأولى إنشائية لفظًا ومعنًى، والثانية عكسها.
«اصبر على كيد الحسود، لا تضجر من مكائده» لم تعطف الثانية على الأولى؛ لكمال الاتصال، فإنها مؤكدة لها.
«أنت حميد الخصال، تصنع المعروف، وتغيث الملهوف» فصلت الثانية من الأولى؛ لكمال الاتصال فإنها بيان لها، ووصلت الثالثة للتوسط بين الكمالين، مع وجود مانع من الوصل.

تمرين
بيِّن سر الفصل والوصل فيما يلي:
(١) أخط مع الدهر إذا ما خطا

واجر مع الدهر كما يجري
(٢) حكم المنية في البرية جاري

ما هذه الدنيا بدار قرار
(٣) لا تدعه إن كنت تنصف نائبًا

هو في الحقيقة نائم لا نائب
(٤) قال لي كيف أنت؟ قلتُ: عليل

سهر دائم وحزن طويل
(٥) قالت بليت فما نراك كعهدنا

ليت العهود تجددت بعد البلى
(٦) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً.
وإنما المرء بأصغريه

كل امرئ رهن بما لديه
لا تطلبن بآلة لك حاجة

قلم البليغ بغير حظ مغزل
(٧) يرى البخيل سبيل المال واحدة

إن الكريم يرى في ماله سبلا
(٨) نفسي له نفسي الفداء لنفسه

لكن بعض المالكين عفيف
(٩) مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ.
(١٠) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ.
(١١) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى.
(١٢) قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ.
(١٣) يهوَى الثناء مبرَّز ومقصر

حب الثناء طبيعة الإنسان
(١٤) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ.
(١٥) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا.
(١٦) ألا من يشتري سهرًا بنوم؟

سعيد من يبيت قرير عين
(١٧) فآبوا بالرماح مكسرات

وأُبنا بالسيوف قد انحنينا
(١٨) فما الحداثة عن حلم بمانعة

قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
(١٩) يقولون إني أحمل الضيم عندهم

أعوذ بربي أن يُضام نظيري
(٢٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.
(٢١) فيا موتُ زُرْ إن الحياة ذميمة

ويا نفسُ جِدِّي إن دهرك هازلُ
(٢٢) يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ.
(٢٣) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ.
(٢٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ.
(٢٥) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ.
(١) وصل بين الجملتين لاتفاقهما إنشاء، مع وجود المناسبة وعدم المانع.
(٢) فصل الشطر الثاني عن الأول؛ لأنه توكيد معنوي له؛ إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء، فأكد ذلك بالشطر الثاني، فبينهما كمال الاتصال.
(٣) فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبرًا وإنشاءً؛ إذ الثاني خبر، والأول إنشاء، فبينهما كمال الانقطاع.
(٤) فصل بين قال وقلت؛ لأن الثاني جواب سؤال؛ إذ جرت العادة أنه إذ قيل للرجل: كيف أنت؟ أن يجيب: «أنا عليل» وكذا بين جملتي سهر دائم وحزن طويل، فكأنه قيل: فما سبب علتك؟ فأجاب: سهر دائم ... إلخ، ففي كل منهما شبه كمال الاتصال.
(٥) بين الشطر الثاني والأول كمال الانقطاع؛ لأن أولهما خبر والثاني إنشاء.
(٦) بين جملتي ترى وتحسب كمال الاتصال؛ لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى.
(٧) بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال؛ لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر من الأولى، كأنه قيل: فما حال الكريم في ماله؟ فقال: إن الكريم ... إلخ.
(٨) بين «نفسي له» و«نفسي الفداء» كمال الاتصال؛ لأن الثانية توكيد لفظي للأولى.
(٩) «إن هذا إلا ملك» توكيد معنوي لقوله: «ما هذا بشرًا»؛ إذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل في معرض المدح: ما هذا بشرًا، وما هذا بآدمي — أن يكون الغرض أنه ملك، فيكنى به عن ذلك، فبينهما كمال الاتصال.
(١٠) بين «يدبر» و«يفصل» كمال الاتصال؛ لأن الثانية بدل بعض من كل.
(١١) بين قوله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى وقوله: إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى كمال الاتصال؛ لأن الثانية توكيد معنوي؛ لأن تقرير كونه وحيًا نفي لأنْ يكون عن هوًى.
(١٢) بين «قالوا» و«قال» شبه كمال الاتصال؛ لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا قال لهم حينئذ؟ أجيب بأنه قال: سلام. وهكذا الحال في حكاية القصص في كل ما جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب.
(١٣) فُصل بين الشطر الثاني والأول؛ لأن بينهما كمال الاتصال؛ إذ الشطر الثاني مؤكِّد للأول.
(١٤) فصل جملة «يخادعون» عما قبلها؛ لأن بينهما كمال الاتصال؛ لأن هذه المخادعة ليست شيئًا غير قولهم: «آمنا» دون أن يكونوا مؤمنين، فهي إذًا توكيد معنوي للأولى.
(١٥) فُصلت جملتا «كأن لم يسمعها» و«كأن في أذنيه وقرًا» عما قبلهما؛ لأنهما كالتوكيد له؛ إذ المقصد من التشبيهين واحد، وهو أن ينفي الفائدة في تلاوة ما تُلي عليه من الآيات، فهما من كمال الاتصال.
(١٦) فُصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبرًا وإنشاء، فبينهما كمال الانقطاع.
(١٧) بين جملتي «آبوا» و«أبنا» توسط بين الكمالين؛ لاتفاقهما في الخبرية في وجود المناسبة.

(١٨) بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال؛ إذ الثاني جواب سؤال مقدر.
(١٩) هذا البيت من حيث عدم عطف «أعوذ» على ما قبله، على حد قوله: تظن سلمى ... إلخ.
(٢٠) لم تُعطف على ما قبلها مع أن بينهما مناسبة في المعنى بالتضاد؛ لأنها مبينة لحال الكفار، وما قبلها مبيِّن لحال المؤمنين، وأن بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته، بل ذكر استتباعًا لبيان حال الكفار، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضي الوصل.
(٢١) لم يعطف قوله: «إن الحياة» على ما قبله؛ لأنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: لماذا تطلب زيارة الموت؟ فأجاب: إن الحياة ذميمة.
(٢٢) لم يعطف قوله: «يذبحون» على «يسومون»؛ لكونه بيانًا له.
(٢٣) فجملة «تحسبها جامدة» بدل اشتمال.
(٢٤) فجملة «يفصل الآيات» بدل بعض.
(٢٥) فجملة «يَلْقَ أثامًا» بدل كل، وقد أنكر بدل الكل علماء البيان خلافًا للنحاة.

المحتوى...
(٣) في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

(أ) الجملة الفعلية: ما تركبت من فعل وفاعل، أو من فعل ونائب فاعل؛ وهي: موضوعة لإفادة التجدد والحدوث في زمن معيَّن مع الاختصار، نحو: يعيش البخيل عيشة الفقراء، ويُحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. ونحو: أشرقت الشمس وقد ولى الظلام هاربًا.

فلا يستفاد من ذلك إلا ثبوت الإشراق للشمس، وذهاب الظلام في الزمان الماضي.

وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجددي شيئًا فشيئًا بحسب المقام، وبمعونة القرائن، لا بحسب الوضع، بشرط أن يكون الفعل مضارعًا نحو قول المتنبي:

تدبِّر شرقَ الأرض والغرب كفُّه وليس لها يومًا عن المجد شاغل

فقرينة المدح تدل على أن تدبير الممالك ديدنه، وشأنه المستمر الذي لا يحيد عنه، ويتجدد آنًا فآنًا.

(ب) والجملة الاسمية: هي ما تركبت من مبتدأ وخبر، وهي تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير — بدون نظر إلى تجدد ولا استمرار — نحو: الأرض متحركة، فلا يُستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدد ذلك ولا حدوثه.

وقد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل، وتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن إذا لم يكن في خبرها فعل مضارع؛ وذلك بأن يكون الحديث في مقام المدح، أو معرض الذم كقوله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.

فسياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت، ومنه قول النضر بن جؤبة يتمدح بالغنى والكرم:

لا يألف الدرهم المضروب صرَّتنا لكن يمر عليها «وهو منطلق»

يريد أن دراهمه لا ثبات لها في الصرة ولا بقاء، فهي دائمًا تنطلق منها، وتمرق مروق السهام من قِسيِّها؛ لتوزع على المعوزين، وأرباب الحاجات.

واعلم أن الجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن، إلا إذا كان خبرها مفردًا، نحو: الوطن عزيز؛ أو كان خبرها جملة اسمية، نحو: الوطن هو سعادتي.

أما إذا كان خبرها فعلًا فإنها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد والحدوث في زمن مخصوص، نحو: الوطن يسعد بأبنائه، ونحو:

تعيب الغانياتُ عليَّ شيبي ومن لي أن أمتَّع بالمشيب

وكقول الآخر:

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

أسئلة يُطلب أجوبتها

ما هو علم المعاني؟ ما هو الإسناد؟ ما هي مواضع المسند والمسند إليه؟ ما المراد بصدق الخبر وكذبه؟ ما الفرق بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية؟ ما هو الأصل في إلقاء الخبر؟ ما هي الأغراض الأخرى التي يُلقى إليها الخبر؟ ما هي أضرب الخبر؟ ما هي أدوات التوكيد؟ لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر؟ إلى كم ينقسم الخبر؟ لأي شيء وُضعت الجملة الاسمية والفعلية؟ هل تُفيد الجملة الفعلية والاسمية غير ما وُضعتا لأجله؟

المحتوى...
في حقيقة الخبر

الخبر: كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته.

وإن شئت فقل: «الخبر هو ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به» نحو: العلم نافع؛ فقد أثبتنا صفة النفع للعلم، وتلك الصفة ثابتة له (سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفظ)؛ لأن نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكي ما اتفق عليه الناس قاطبة، وقضت به الشرائع، وهدت إليه العقول، بدون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر.

والمراد بكذبه عدم مطابقته له.

فجملة «العلم نافع» إن كانت نسبتها الكلامية (وهي ثبوت النفع للعلم) المفهومة من تلك الجملة مطابقة للنسبة الخارجية ـــ أي موافقة لما في الخارج والواقع ـــ «فصدق» وإلا «فكذب» نحو: «الجهل نافع» فنسبته الكلامية ليست مطابقة وموافقة للنسبة الخارجية.

(١-١) المقاصد والأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر

الأصل في الخبر أن يُلقَى لأحد غرضين:

(أ)إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، إذا كان جاهلًا له، ويسمى هذا النوع «فائدة الخبر» نحو: «الدين المعاملة».

(ب)وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضًا بأنه يعلم الخبر، كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان وعلمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان. ويُسمى هذا النوع: «لازم الفائدة»؛ لأنه يلزمُ في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظنٌّ به.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تُستفاد بالقرائن ومن سياق الكلام، أهمُّها:

(١)الاسترحام والاستعطاف، نحو: إني فقير إلى عفو ربي.

(٢)وتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله، نحو: ليس سواء عالم وجهول.

(٣)وإظهار الضَّعف والخشوع، نحو: رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي.

(٤)وإظهار التحسُّر على شيء محبوب، نحو: إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى.

(٥)وإظهار الفرح بمُقْبِل والشماتة بمُدبِر، نحو: جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ.

(٦)والتوبيخ كقولك للعاثر: «الشمس طالعة».

(٧)والتذكير بما بين المراتب من التفاوت، نحو: «لا يستوي كسلان ونشيط».

(٨)والتحذير، نحو: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق».

(٩)والفخر، نحو: «إن الله اصطفاني من قريش».

(١٠)والمدح كقوله:

فإنك شمسٌ والملوك كواكب إذا طلعْتَ لم يَبْدُ منهن كوكبُ

وقد يجيء لأغراض أخرى، والمرجع في معرفة ذلك إلى الذوق والعقل السليم.

المحتوى...

(٢) في كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب

حيث كان الغرض من الكلام الإفصاح والإظهار يجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض، يشخِّص حالته، ويُعطيه ما يُناسبها.

فحق الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائدًا عنها؛ لئلا يكون عبثًا، ولا ناقصًا عنها؛ لئلا يُخلَّ بالغرض، وهو «الإفصاح والبيان».

لهذا تختلف صور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث أحوال:

أولًا: أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر، غير متردد فيه، ولا منكر له، وفي هذه الحال لا يُؤكد له الكلام؛ لعدم الحاجة إلى التوكيد، نحو قوله تعالى: الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

ويُسمى هذا الضرب من الخبر «ابتدائيًّا» ويُستعمل هذا الضرب حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر؛ فيتمكن فيه لمصادفته إيَّاه خاليًا.

ثانيًا: أن يكون المخاطب مترددًا في الخبر، طالبًا الوصول لمعرفته، والوقوف على حقيقته، فيُستحسن تأكيد٦ الكلام المُلْقَى إليه؛ تقوية للحكم؛ ليتمكن من نفسه، ويطرح الخلاف وراء ظهره، نحو: إنَّ الأمير منتصر.

ويُسمَّى هذا الضرب من الخبر «طلبيًّا» ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب شاكًّا في مدلول الخبر، طالبًا التثبت من صدقه.

ثالثًا: أن يكون المخاطب منكرًا للخبر الذي يُراد إلقاؤه إليه، معتقدًا خلافه، تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر، على حسب حاله من الإنكار قوةً وضعفًا، نحو: إنَّ أخاك قادم، أو: إنَّه لقادم، أو: والله إنَّه لقادم، أو: لعمري إنَّ الحق يعلو ولا يُعلى عليه.

ويُسمَّى هذا الضرب من الخبر «إنكاريًّا» ويُؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب منكرًا.

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات يكون في النفي أيضًا، نحو: ما المقتصد بمفتقر، ونحو: والله ما المستشير بنادم.

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبر أدوات كثيرة، وأشهرها: إنَّ، وأنَّ، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة كـ «تفَعَّل واستفعل» والتكرار، وقد، وأمَّا الشرطيَّة، وإنَّما، واسمية الجملة، وضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي.

الثاني: يسمى إخراج الكلام على الأضرب الثلاثة السابقة إخراجًا على مقتضى ظاهر الحال.

وقد تقتضي الأحوال العُدول عن مقتضى الظاهر، ويورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم (وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة).

(١)منها: تنزيل العالم بفائدة الخبر، أو لازمها، أو بهما معًا ـــ منزلة الجاهل بذلك؛ لعدم جريهِ على موجب عِلمه، فيُلقَى إليه الخبر كما يُلقى إلى الجاهل به، كقولك لمن يعلم وجوب الصلاة وهو لا يُصلي: «الصلاة واجبة.» توبيخًا على عدم عمله بمقتضى علمه، وكقولك لمن يُؤذي أباه: هذا أبوك.

(٢)ومنها تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، إذا تقدَّم في الكلام ما يُشير إلى حُكم الخبر، كقوله سبحانه وتعالى: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ فمدخول إنَّ مؤكد لمضمون ما تقدمه؛ لإشعاره بالتردد فيما تضمنه مدخولها، وكقوله سبحانه وتعالى: وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ لما أمر المولى «نوحًا» أولًا بصنع الفلك، ونهاه ثانيًا عن مخاطبته بالشفاعة فيهم، صار ـــ مع كونه غير سائل ـــ في مقام السائل المتردد.

هل حكم الله عليهم بالإغراق؟ فأجيب بقوله: إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ.

(٣)ومنها: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، كقول حَجَل بن نَضْلة القيسي (من أولاد عم شَقِيق):

جاء شَقِيق عارضًا رمحه إن بني عمك فيهم رماح

«فشَقِيق» رجل لا ينكر رماح بني عمه، ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته، واضعًا رمحه على فخذيه بالعرض وهو راكب أو حاملًا له عرضًا على كتفه في جهة العدو بدون اكتراثه به ـــ بمنزلة إنكاره أن لبني عمه رماحًا، ولن يجد منهم مقاومًا له كأنهم كلهم في نظره عُزْلٌ، ليس مع أحد منهم رمح.

فأكد له الكلام؛ استهزاءً به، خوطب خطاب التفات بعد غيبة؛ تهكمًا به، ورميًا له بالنزق وخرق الرأي.

(٤)ومنها تنزيل المتردد منزلة الخالي، كقولك للمتردد في قدوم مسافر مع شهرته: «قدم الأمير.»

(٥)ومنها تنزيل المتردد منزلة المنكر، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج: «إنَّ الفرج لقريب.»

(٦)ومنها تنزيل المنكر منزلة الخالي، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع وزال إنكاره، كقوله تعالى: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وكقولك لمن يُنكر منفعة الطب: «الطب نافع.»

(٧)ومنها تنزيل المنكر منزلة المتردد، كقولك لمن يُنكر «شرف الأدب» إنكارًا ضعيفًا: «إنَّ الجاه بالمال إنَّما يصحبك ما صحبك المال، وأما الجاه بالأدب فإنه غير زائل عنك.»

الثالث: قد يؤكد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار، كقولك في افتتاح كلام: «إنَّ أفضل ما نطق به اللسان كذا.»

عرف علماء اللغة البلاغة في المعجم الوسيط بأنها هي حسن البيان وقوة التأثير، وتعني أيضاً الوصول إلى المعنى بكلام بليغ ويجب فيها مطابقة ومشابهة الكلام لمقتضي الحال مع فصاحته.

نشأة علم البلاغة

اشتهر العرب بفصاحة اللسان والقدرة على التعبير، واختيار الألفاظ الدقيقة ذات المعنى المباشر فقد كانوا قومًا مفوهين، عرفوا علم البلاغة الذي يعد واحداً من العلوم الأدبية، التي انتشرت في العصر الجاهلي، حتى صب العرب اهتمامهم على علم البلاغة باعتبارها الفيصل الوحيد على براعة الشعراء وإبداعهم.

وقد لعب سوق عكاظ دوراً هاماً في انتشار علم البلاغة، حيث يتجمع الناس في هذا السوق لعرض أعمالهم الأدبية والتبارز في المسابقات الشعرية، ويتم نقد أعمالهم وتحكيمها بواسطة شعراء قدامى يتميزون بقدرتهم الأدبية وحنكتهم البلاغية، فهم يقيمون الشاعر أو الأديب طبقاً لقوة أسلوبه، وبراعته البلاغية، ويتم إعطاء الشاعر رتبة طبقاً لأعماله بعد تحكيم دقيق وقوي، وكانت القبائل تتباهى بشعرائها في عصر الجاهلية فاستخدموا الشعر والبلاغة في الهجاء والمدح والأفراح والأحزان، وقد ساعدت عدة عوامل على نشأة هذا العلم هي:

–عوامل أساسية من خلالها تم الإطلاع على الخصوصية الأدبية.

–عوامل ثانوية من خلالها تم التعمق في البحث في الموضوع والعمل على تطويره.

أسس علم البلاغة

بني علم البلاغة على أساسين: هما

–الذوق الفطري: وهو المرجع الأول في الحكم على الفنون الأدبية.

–البصيرة النفاذة: وهي القدرة على الموازنة والمفاضلة لبناء أحكام يطمئن العقل إلي جدارتها.

الهدف من دراسة علم البلاغة

–هدف ديني : ويركز علي تفسير وتذوق بلاغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

–هدف أدبي: ويتمثل ذلك في تأليف الشعر والنثر والقدرة على بناء الأدب

–هدف نقدي: ويعرف بالهدف البلاغي وهو عبارة عن القدرة علي معرفة كلام العرب سواء كان صالحاً أو طالحاً.

مميزات دراسة علم البلاغة

–تدبر معاني وألفاظ القرآن الكريم الذي يعد المصدر الأول لأساس علم البلاغة.

–معرفة وفهم معاني الجمل التي يتم قرأتها خاصةً أبيات الشعر والقوافي.

–القدرة على النطق بالكلام الفصيح وتمييز الجيد منه من الرديء.

–تحسين من قدرة وإمكانية النقاد عن إنتقاد النصوص والأعمال الأدبية.

–تمكن من اختيار الكلام المناسب للموقف المناسب مما يعد بلاغة في الرد.

مراحل تطور علم البلاغة

المرحلة الأولي :النشأة على هامش العلوم الأخرى :في هذه المرحلة لم تكن للبلاغة العربية ملامح محددة في تمثيل قضايا متكاملة، بل كانت فقط عبارة عن ملاحظات منتشرة بجانب العلوم التي سبقتها وأفكار مبعثرة في ثنايا مؤلفات تلك العلوم.

المرحلة الثانية: التكامل المشترك :في هذه المرحلة أخذت البلاغة اتجاهاً آخر فأصبحت الملاحظات المتناثرة في المرحلة الأولى تنمو وتنضج وتلتئم وتتعمق في ثنايا الكتب لتكون فصول كاملة وان كانت هذه الفصول لم يكن لديها مؤلفات وكتب خاصة بها لكنها ظلت متنوعة ومختلطة بالعلوم الأخرى.

المرحلة الثالثة :مرحلة الإستقرار والتفرد :هي المرحلة الأخيرة والثالثة في هذه المرحلة قد تبلورت البلاغة بشكل حاسم ونهائي وأصبحت لها مؤلفاتها وكتبها الخاصة.

العلوم المرتبطة بالبلاغة

–علم المعاني: وهو العلم الذي يبحث في تراكيب الكلام وأساليبه، ويجب مراعاة كل من المعنى الذي نريد التحدث عنه واللفظ الذي يعبر عنه هذا المعنى.

–علم البيان: البيان لغة يعني الكشف أو الظهور أما كمصطلح فهو؛ قواعد معينة يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة مختلفة من حيث وضوح الدلالة علي ذلك المعنى.

–علم البديع: هو العلم المختص بتحسين أوجه الكلام اللفظية والمعنوية.

محاضرة مادة: علم البيان ونشأته وأقسامه

تعريف علم البيان إنّ كلمة "البيان" مأخوذة في اللغة من: "بان–يبين" وهي تعرَّف على أنّها: الوضوح أو المنطق الفصيح، ونقول: بيان حقيقة، أي كشف للحقيقة وإظهارها، ونقول أيضًا: هذا الأمر غنيّ

عن البيان، أي أنّه ليس بحاجة إلى توضيح. يمكن التعريف بعلم البيان اصطلاحاً على أنّه أحد علوم البلاغة في اللغة العربيّة، وهو يعني الوضوح، والإفصاح، وإظهار المقصود بأبلغ لفظٍ حتى تظهر الحقيقة لكل سامع، بالإضافة إلى تعريفه من علماء اللغة بأنّه: "العلم الذي يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"، وذلك يعني أنّ هذا العلم يحتوي على مجموعة من القواعد المُستخدمة لإيصال المعنى الواحد بطرق وفنون مختلفة، مثل استخدام فنّ التشبيه أو الاستعارة، أو المجاز أو الكناية. مباحث علم البيان إنّ علم البيان يتكون من عدة مباحث تتفرّع منه والتي نذكرها كالآتي: الاستعارة والتشبيه تُعرَّف الاستعارة على أنّها: "ادّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبَّه به من الشيئين لفظاً وتقديرًا، وإن شئت قلت: وجعل الشيء بالشيء أو جعل الشيء للشيء"، كما أنّها تعني أن نسمّي الشيء بشيء آخر إذا تشابه معه بأمر ما، كما أنّها تنقل اللفظ من معناه الأصلي إلى لفظ آخر غير حقيقي "مجازي" متعلق بالمعنى الأصلي بجانب من جوانبه، وذلك ليكون تأثيره أكبر في المتلقّي، وتعتبر الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنّها تحتوي على أكثر من تركيب في الجملة، على عكس التشبيه الذي يعني إنشاء علاقة مماثلة بين شيئين مختلفين لا يمتّان ببعضهما بصلة، فمثلًا في التشبيه من الممكن أن نقول: حاتم كالأسد في شجاعته، فهنا نشبّه حاتمًا بالأسد لوجود رابط مشترك بينهما –رغم اختلافهما عن بعضهما– والرابط هو الشجاعة، كما يمكننا القول إنّ كل استعارة تحتوي على تشبيه لكن ليس كل تشبيه يحتوي على استعارة. الكناية تُعرَّف الكناية وبحسب الجرجانيّ على أنّها: "أن تُطلِق اللفظ وتريد لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي"، وهي قد سُميّت بالكناية لأنّها تخفي وجه التصريح بالشيء فلا تُصرّح عنه بشكل مباشر إنّما بلفظ آخر، فمثلًا نقول: محمد كثير الرماد، فلا نعني حقًا بأنّ لديه رمادًا كثيرًا بالمعنى الحقيقي للرماد إنّما ذلك كناية عن جوده وكرمه بأنّه كثير. لمعرفة المزيد عن الكناية يرجى قراءة المقال الآتي: أمثلة عن الكناية. أدوات العامِل بعلم البيان إنّ علم البيان يعتمد على أدوات أساسية لكل من أراد أن يعمل به والتي يجب أن تكون لديه ليفهم علم البيان وهي كالآتي: حفظ القرآن الكريم، مع فهم معاني مفرداته، واستعمال أسلوبه أثناء التحدث والكلام مع الآخرين. حفظ ما يلزم من أحاديث النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. تعلُّم علم اللغة؛ بما يمكنه من التمييز بين المفردات المستحسنة والقبيحة. معرفة علوم النحو والصرف في اللغة العربية. الاطلاع على قصص العرب، ومعرفة عاداتهم وأمثالهم. الاطلاع على مؤلفات السابقين في مجال

علم البيان. معرفة الأحكام، والقوانين المتعلّقة بالإمامة، والإمارة، والقضاء، وغيرها. معرفة علم العروض والقوافي الذي يوزن به الشعر. نشأة علم البيان يرتبط علم البيان في نشأته بظهور كلّ من العلوم البلاغية وهي علم المعاني، وعلم البديع؛ حيث كان هناك تداخل كبير فيما بينها، وقد ظهرت أول عصورها منذ أيام الجاهلية، مروراً بالعصر الإسلامي الذي طورها بفعل عوامل عديدة؛ مثل تحضُّر العرب، والاستقرار في المدن، والحِراكات الجدلية القوية بين الفِرَق الدينية في القضايا العَقَدِية، والسياسية، لذا كثُرت الملاحظات البيانيّة والنقديّة على مر الأيام والعصور لتراجم بعض الشعراء الجاهليّين والإسلاميّين والتي نجدها في العديد من الكتاب ككتاب "الاغاني" للأصفهاني. أهميّة علم البيان يمكن وصف أهمية علم البيان على أنّه أهم ركائز فنون اللغة العربية وآدابها، حيث يساعد في شرح محاسن اللغة العربية وأشكال التعبير من خلالها، بالإضافة لتفسير الملامح الجمالية التي قد تتخلل أي قصيدةٍ، أو خطبةٍ، أو رسالةٍ معينةٍ، أو مقالةٍ لأي متكلم، لذا فإنّ الإجادة في تحقيق قوانين علم البيان وإبداع مهاراته وفهمه أكثر يستلزم توفير آلاتٍ وأدواتٍ مثل النحو، والصرف، والأمثال العربية، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وعلم العروض، والقوافي.

محاضرة مادة: التشبيه

في التشبيه

تمهيد

للتشبيه روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة؛ وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحًا، ويكسبها جمالًا وفضلًا، ويكسوها شرفًا ونُبلًا؛ فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي، متشعَّب الأطراف، متوعِّر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى، غزير الجدوى.

ومن أساليب البيان أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف مع التوضيح، أو وجه من المبالغة — عمدت إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة

لتوضيح الصفة، أو المبالغة في إثباتها؛ لهذا كان التشبيه أوَّل طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى.

تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة

التشبيه لغة: التمثيل، يقال: هذا شِبه هذا ومثيله.

والتشبيه اصطلاحًا: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قُصِد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة؛ لغرض يقصده المتكلم.

وأركان التشبيه أربعة:

- (١) المشبه: هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.
- (٢) المشبه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه. (هذان الركنان يُسميان طرفي التشبيه.)
- (٣) وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف كما سيأتي توضيحه.
- (٤) أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تُذكر الأداة في التشبيه وقد تُحذف، نحو: كان عمر في رعيته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف.

في تقسيم طرق التشبيه إلى حسي وعقلي

طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به».

- (١) إما حسيان١ «أي مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة» نحو: «أنت كالشمس في الضياء» وكما في تشبيه «الخد بالورد».

وإما عقليان؛ أي: مدركان بالعقل، نحو «العلم كالحياة»، ونحو: «الضلال عن الحق كالعمى» ونحو: «الجهل كالموت».

- (٢) وإما المشبه حسي والمشبه به عقلي، نحو: طبيب السوء كالموت.

- (٣) وإما المشبه عقلي والمشبه به حسي، نحو: العلم كالنور.

واعلم أن العقلي هو ما عدا الحسي، فيشمل المحقق ذهنًا: كالرأي، والخلق، والحظ، والأمل، والعلم، والذكاء، والشجاعة.

ويشمل أيضًا الوهمي، وهو ما لا وجود له، ولا لأجزائه كلها، أو بعضها في الخارج، ولو وجد لكان مدركًا بإحدى الحواس.

ويشمل الوجداني، وهو ما يُدرك بالقوى الباطنة: كالفم، والفرح، وال

محاضرة مادة: التشبيه

في التشبيه

في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب

طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به».

- (١) إما مفردان «مطلقان»، نحو: «ضوءه كالشمس» و«خده كالورد».
أو «مقيدان»،٢ نحو: الساعي بغير طائل كالرَّاقم على الماء.

أو «مختلفان»، نحو: «ثغره كاللؤلؤ المنظوم» ونحو: «العين الزرقاء كالسنان»، والمشبه هو المقيد.
وإما مركبان تركيبًا لم يمكن إفراد أجزائهما، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين، أو من أشياء، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئًا واحدًا، وإذا انتُزع الوجه من بعضها دون بعض اختل قصد المتكلم من التشبيه، كقوله:٣

كأن سهيلًا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

- (٢) إذ لو قيل: «كأن سهيلًا إمام» و«كأن النجوم صفوف صلاة» — لذهبت فائدة التشبيه.

أو مركبان تركيبًا إذا أُفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة «المشبه به» كما ترى في قول الشاعر الآتي: حيث شبه النجوم اللامعة في كبد السماء بِدُرٍّ منتثر على بساط أزرق:

وكأنَّ أجرام النجوم لوامعًا درٌ نُثرن على بِساط أزرق

إذ لو قيل: «كأن النجوم درر» و«كأن السماء بساط أزرق» — كان التشبيه مقبولًا، لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به.

- (٣) وإما مفرد بمركب، كقول الخنساء:

أغر أ بلجُ تأتم الهداة به كأنه عَلَم في رأسه نار

- (٤) وإما مركب بمفرد، نحو: الماء المالح كالسم.[٥]

واعلم أنه متى رُكب أحد الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفردًا مطلقًا، بل يكون مركبًا، أو مفردًا مقيدًا، ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركبًا ضرورة انتزاعه من المركب، أو من القيد والمقيد.

في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار تعددهما[٦]

ينقسم طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به» باعتبار تعددهما أو تعدد أحدهما إلى أربعة أقسام: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

- (١) فالتشبيه الملفوف: هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه، والمشبه به مع المشبه به، بحيث يُؤتى بالمشبهات معًا على طريق العطف، أو غيره، ثم يُؤتى بالمشبهات بها كذلك، كقوله:

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

خمر ودر وورد ريق وثغر وخد

وكقوله:

تبسم وقطوب في ندًى ووغًى كالغيث والبرق تحت العارض البرد

وكقوله:

وضوء الشهب فوق الليل بادٍ كأطراف الأسنة في الدروع[٧]

- (٢) والتشبيه المفروق: هو جمع كل مشبه مع ما شُبه به، كقوله:[٨]

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عَنَم

- (٣) و«تشبيه التسوية» هو أن يتعدد المشبه دون المشبه به كقوله:

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

سُمي بذلك للتسوية فيه بين المشبهات.

- (٤) وتشبيه الجمع: هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه، كقوله:

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح[٩]

سُمي بتشبيه الجمع؛ للجمع فيه بين ثلاث مشبهات بها كقوله:

مرت بنا رأد الضحى تحكي الغزالة والغزالا

وكقوله:

ذات حسن لو استزدت من الحسـ ـن إليه لما أصابت مزيدا

فهي الشمس بهجة والقضيب اللد ن قدًّا والريم طرفًا وجيدا

ملخص القول في تقسيم طرفي التشبيه

- **أولًا:** ينقسم التشبيه باعتبار طرفية إلى حسيين وعقليين ومختلفين. فالحسيان يشتركان:
  - (١)في صفة مبصرة، كتشبيه المرأة بالنهار في الإشراق، والشعر بالليل في الظلمة والسواد، كما في قول الشاعر:

فرعاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو ليل أسحم

فكأنها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم[١٥]

  - (٢)أو في صفة مسموعة، نحو: «غرد تغريد الطيور»، ونحو: «سجع سجع القمري»، ونحو: «أنَّ أنين الثكلى»، ونحو: «أسمع دويًّا كدوي النحل»، وكتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج في قول الشاعر:

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس إنقاض الفراريج[١٦]

وكتشبيه الأصوات الحسنة في قراءة القرآن الكريم بالمزامير.

  - (٣)أو في صفة مذوقة، كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل، وكتشبيه الريق بالخمر في قول الشاعر:

كأن المُدام وصوب الغمام وريح الخزامى وذوب العسل

يعل به برد أنيابها إذا النجم وسط السماء اعتدل[١٧]

  - (٤)أو في صفة ملموسة، كتشبيه الجسم بالحرير في قول ذي الرُّمَّة:

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نذر[١٨]

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

- (٥)أو في صفة مشمومة، كشبيه الريحان بالمسك، والنكهة بالعنبر.

والعقليان: هما اللذان لم يدركا «هما ولا مادتهما» بإحدى الحواس؛ وذلك كتشبيه السفر بالعذاب، والضلال عن الحق بالعمى، والاهتداء إلى الخير بالإبصار.

والمختلفان: إما أن يكون المشبه عقليًّا والمشبه به حسيًّا، كتشبيه الغضب بالنار من التلظي والاشتعال، وكتشبيه الرأي بالليل في قول الشاعر:

الرأي كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإصباح

وإما أن يكون المشبه حسيًّا والمشبه به عقليًّا كتشبيه الكلام بالخلق الحسن عقليًّا، وكتشبيه العطر بخلق الكريم في قول الصاحب بن عباد:

أهديت عطرًا مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

- **ثانيًا:** ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى: مفردين مطلقين، أو مقيدين، أو مختلفين، وإلى مركبين أو مختلفين.

فالمفردان المطلقان كتشبيه السماء بالدهان في الحمرة في قوله تعالى: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ.

وكتشبيه الكشح بالجديل، والساق بالأنبوب في قول امرئ القيس:

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل

والمقيدان بوصف، أو إضافة، أو حال، أو ظرف، أو نحو ذلك، كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة: هو «كالراقم على الماء»، فالمشبه هو الساعي على هذه الصفة، والمشبه به هو الراقم بهذا القيد، ووجه الشبه التسوية بين الفعل والترك في الفائدة. وكقوله:

والشمس من بين الأرائك قد حكت سيفًا صقيلًا في يد رعشاء

والمختلفان والمشبه به هو المقيد، كما في قول ذي الرُّمَّة:

قف العيس في أطلال مية فاسأل رسومًا كأخلاق الرداء المسلسل

أو المشبه هو المقيد، كما في قول الشاعر:

كأن فجاج الأرض وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

والمركبان كقول الشاعر:

البدر منتقب بغيم أبيض هو فيه تفجر وتبلج
كتنفس الحسناء في المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

والمختلفان والمشبه مفرد، كقوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. وكقول الشاعرة:

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

أو المشبه به مفرد، كقول أبي الطيب المتنبي:

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شيم

شبه إشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم (الأخلاق الطيبة)، فإشراق الوجوه ببياضها، وإشراق الأعراض بشرفها وطيبها.

- **ثالثًا:** التشبيه ينقسم باعتبار طرفيه إلى:
  - (١)ملفوف، وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولًا على طريق العطف، أو غيره، ثم بالمشبهات بها كذلك، كقول الشاعر:

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخد

شبه الليل بالشعر، والبدر بالوجه، والغصن بالقد — في البيت الأول. والخمر بالريق، والدر بالثغر، والورد بالخد — في البيت الثاني. وقد ذكر المشبهات أولًا، والمشبهات بها ثانيًا، كما ترى في نظم الشاعر.

  - (٢)وإلى مفروق، وهو ما أتى فيه بمشبه ومشبه به، ثم بآخر وآخر كقول أبي نواس:

تبكي فتذري الدر من نرجس وتمسح الورد بعناب

شبه الدمع بالدر؛ لصفائه، والعين بالنرجس؛ لما فيه من اجتماع السواد بالبياض، والوجه بالورد.

- **رابعًا:** ينقسم التشبيه أيضًا باعتبار طرفيه إلى:
  - (١)تشبيه التسوية: وهو ما تعدد فيه المشبه، كقول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

شبه في الأول صدغ الحبيب وحاله هو بالليالي في السواد، وفي الثاني شبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلي في القدر والإشراق.

  - (٢)تشبيه الجمع: وهو ما تعدد فيه المشبه به، كقول البحتري:

بات نديمًا لي حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

شبه ثغره بثلاثة أشياء: باللؤلؤ، والبرد، والأقاح، وقد تقدم الكلام على هذه الأقسام.

في التشبيه

في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشَّبه

وجه الشبه: هو الوصف الخاص٢٧ الذي يُقصد اشتراك الطرفين فيه، كالكرم في نحو: «خليل كحاتم»، ونحو: «له سيرة كالمسك» و«أخلاقه كالعنبر».

واشتراك الطرفين قد يكون ادعائيًّا بتنزيل التضاد منزلة التناسب، وإبراز الخسيس في صورة الشريف تهكمًا أو تمليحًا، ويظهر ذلك من المقام، وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:

- (١) تشبيه تمثيل: وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفًا منتزعًا من متعدد، حسيًّا كان أو غير حسي، كقوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

فوجه الشبه سرعة الفناء، انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة؛ إذ يبدو هلالًا، فيصير بدرًا، ثم ينقص، حتى يدركه المحاق، ويُسمى تشبيه التمثيل.

- (٢) وتشبيه غير تمثيل: وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، نحو: «وجهه كالبدر» ومثل قول الشاعر:

لا تطلبنَّ بآلة لك رتبة قلم البليغ بغير حظ مغزل

فوجه الشبه قلة الفائدة، وليس منتزعًا من متعدد.

- (٣) ومفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومه، نحو: «طبع فريد كالنسيم رقة» و«يده كالبحر جودًا» و«كلامه كالدر حسنًا» و«ألفاظه كالعسل حلاوة»، ومثل قول ابن الرومي:

شيبه البدر حسنًا وضياءً ومنالا وشبيه الغصن لينًا وقوامًا واعتدالا

- (٤) ومجمل: وهو ما يذكر فيه وجه الشبه، ولا ما يستلزمه، نحو: «النحو في الكلام كالملح في الطعام» فوجه الشبه هو الإصلاح في كل. ومثل قوله:

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت

واعلم أن وجه الشبه المجمل إما أن يكون خفيًّا وإما أن يكون ظاهرًا، ومنه ما وصف فيه أحد الطرفين أو كلاهما بوصف يُشعر بوجه الشبه، ومنه ما ليس كذلك.

- (٥) وقريب مبتذل: وهو ما كان ظاهر الوجه ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به، من غير احتياج إلى شدة نظر وتأمل؛ لظهور وجهه بادئ الرأي.

وذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه، كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، أو لكون وجهه قليل التفصيل، كتشبيه الوجه بالبدر في الإشراق أو الاستدارة، أو العيون بالنرجس.

وقد يتصرف في القريب بما يخرجه عن ابتذاله إلى الغرابة، كقول الشاعر:

لم تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء

فإن تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذل، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.

وقد يخرج وجه الشبه من الابتذال إلى الغرابة؛ وذلك بالجمع بين عدة تشبيهات كقول الشاعر:

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

أو باستعمال شرط، كقوله:

عزماته مثل النجوم ثواقبًا لو لم يكن للثاقبات أفول

- (٦) وبعيد غريب: وهو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به إلى فكر وتدقيق نظر؛ لخفاء وجهه بادئ الرأي، كقوله:

والشمس كالمرآة في كف الأشل

«فإن الوجه فيه» هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض.

وحكم وجه المشبه أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وإلا فلا فائدة في التشبيه.

محاضرة مادة: التشبيه

في التشبيه

في تشبيه التمثيل

تشبيه التمثيل: أبلغ من غيره؛ لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثرًا في المعاني: يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن كان مدحًا كان أوقع، أو ذمًّا كان أوجع، أو برهانًا كان أسطع؛ ومن ثم يحتاج إلى كد الذهن في فهمه؛ لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعددة، حسية كانت أو غير حسية؛ لتكون «وجه الشبه» كقول الشاعر:

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها

مرآة تِبْر بدت في كفِّ مرتعش

فمثل الشمس حين تطلع حمراء لامعة مضطربة بمرآة من ذهب تضطرب في كف ترتعش.

وتشبيه التمثيل نوعان:

- **الأول:** ما كان ظاهر الأداة، نحو: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، فالمشبه هم الذين حملوا التوراة ولم يعقلوا ما بها، والمشبه به «الحمار» الذي يحمل الكتب النافعة، دون استفادته منها، والأداة الكاف، ووجه الشبه «الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة».
- **الثاني:** ما كان خفي الأداة، كقولك للذي يتردد في الشيء بين أن يفعله وألا يفعله «أراك تقدِّم رجلًا وتؤخِّر أخرى»؛ إذ الأصل: أراك في ترددك مثل من يقدم رجلًا مرة، ثم يؤخرها مرة أخرى.

فالأداة محذوفة، ووجه الشبه هيئة الإقدام والإحجام المصحوبين بالشك.